

شعر أبي القاسم السهيلي

بنيونس الزاكي

عرض ابن دحية لنسب شيخه السهيلي، فقال : « أبو القاسم السهيلي، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه - أصبغ بن حسين ابن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخل إلى الأندلس. هكذا أملى علي نسبه، وقال : إنه من ولد أبي رويحة الخثعمي [1] الذي عقد له رسول الله ﷺ لواء عام الفتح. ذكره أهل السير » [2].

ولما كانت ترجمة ابن دحية هذه أقدم تعريف بالسهيلي، وأوثق رواية من تلميذ عن شيخه، حيث صرح أنه تلقاها عنه سماعا - فقد اتكأت عليها المصادر المتأخرة، ولم تُضِفْ إليها جديدا ذا بال.

وقد عُرف السهيلي بثلاث كنى ؛ اثنتان منها ترددتا في أكثر المصادر، وهما :

---

(١) ترجمةُ ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٦٦٠- ١٦٦١، تحقيق علي محمد البجاوي، ط/دار نهضة مصر. ب. ت.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب : ٢٣٠، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين. دار العلم للجميع. بيروت. ب. ت.

أبو القاسم ، وأبو زيد ، والثالثة ذكرها ابن الأبار[1] وابن فرحون[2] وابن الخطيب[3] وابن العماد[4] ، وهي أبو الحسن .

ولقد اعتُبِرَ تعدد هذه الكنى أمرًا مشكلًا ، بسبب أن معظم المصادر قد ضَرَبَتْ صفْحًا عن حياة السهيلي الخاصة . وقد شغل هذا الأمر أحد دارسي السهيلي - وهو الدكتور محمد إبراهيم البنا - فتجشم لتبيان سر هذا الغموض ، والتمس لإزاحته وجوها[5] . وأحسب أن ابن خميس[6] قد انفرد بتجلية ما انبهم من أمر زواج السهيلي وإنجابه ، ذلك بأنه أفرد ترجمة لأحد أبنائه - وهو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السهيلي - فانضافت له بذلك كنية رابعة ، هي : أبو علي .

أسرة السهيلي :

لقد سكتت مصادر ترجمة السهيلي عن حياته الخاصة كما أسلفت ، ولم تذكر شيئا عن أسرته ، وكل ما انتهى إلينا من حديث آبائه خبران ، أحدهما ألمع إليه ابن دحية - وهو يُعَرِّفُ بشيوخ السهيلي - قال : « ورحل إلى قرطبة ، فقرأ القرآن العظيم بالمقارئ السبعة على المقرئ أبي داود سليمان بن يحيى بمسجده بباب

---

(١) تكملة الصلة ٣/ ٣٢، تحقيق د. عبد السلام الهراس. ط/دار المعرفة - المغرب.
(٢) الديباج المذهب ١/ ٤٨١، تحقيق د. محمد الأحمدي أبي النور. دار التراث مصر.
(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٤٧٧، تحقيق عبد الله عنان. ط/الخانجي ط ٤.
(٤) شذرات الذهب ٤/ ٢٧١ ط/دار الآفاق الجديدة. بيروت.
(٥) تنظر دراسته : السهيلي ومذهبه النحوي : ٤٤ - ٤٥. دار البيان العربي. ط ١/ ١٩٨٥.
(٦) أدباء مالقة : ١٧١ (مخطوط).

الجوز ، وقال لي عنه : كان يجل[1] أبي رحمهما اللَّه[2] .

وأما الخبر الثاني ، فقد ساقه السهيلي في « الروض »[3] ، وألمع فيه إلى جده ، فقال : « وروي حديث غريب ، لعله أن يصح[4] ، وجدته بخط جدي أبي عمران[5] أحمد بن أبي القاضي رحمه اللَّه » .

وقد عول ابن الأبار[6] على هذا الخبر ، واعتمده في إعداد ترجمة جد السهيلي . ولعل ابن قاضي شهبة ، والذهبي قد أعياهما أن يفيضا في التعريف بأسرة السهيلي ، فاقتصرا على هذين الخبرين ، واستوحيا منهما ما جعل أولهما يعلن أن السهيلي كان « من بيت علم وخطابة »[7] ، بينما أفاد ثانيهما أنه « وَلَدُ الخطيب أبي محمد بن الخطيب أبي عمرو »[8] .

وقد اشتهرت نسبة السهيلي إلى « سهيل » ، غير أن البلدانيين لم تتفق كلمتهم على المراد بها ، فياقوت الحموي يعتبر سهيلا واديا ، فيقول : « ووادي سهيل بالأندلس من كورة مالقة ، فيه قرى ، من إحدى هذه القرى عبد الرحمن

---

(١) في المطرب : « يحمل » ولا معنى له كما نبه على ذلك د . البنا في مقدمة نتائج الفكر : ٩، ط . دار الاعتصام . ط ٢. ب . ت .

(٢) المطرب : ٢٣١.

(٣) الروض الأنف ١/١٩٤ ، بعناية طه عبد الرؤوف سعد . دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨.

(٤) نبه د . البنا إلى أن مما التزمه السهيلي في تعبيراته أن يقرن خبر « لعل » بـ « أن » نتائج الفكر : ٣٣. هامش : ٢.

(٥) كذا في الروض الأنف . وفي التكملة ١/ ٤٠، وذيلها لابن عبد الملك ١/ ١. ٧٢: أبو عمر .

(٦) تكملة الصلة ١/٤٠ تحقيق د . عبد السلام الهراس ط/دار المعرفة .

(٧) طبقات النحاة واللغويين : ٣٥٨ (صورة خطية عن المكتبة الأسَدية بدمشق) .

(٨) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٨.

السهيلي ، مصنف شرح السيرة المسمى بالروض الأنف »[1] . وجنح ابن الخطيب إلى اعتبار « سهيل » حصنا ، فقال واصفا إياه بأنه : « حصن حصين يَضيقُ عن مثله هند وصين »[2] .

أما مناسبة تسميته هذا الوادي أو الحصن بـ « سهيل » فقد أبان عنها الحميري وهو يصف « مربلة » وأنها بالقرب من مرسى « سهيل » ، فقال : « وهناك جبل منيف عال يزعم أهل تلك الناحية أن النجم المسمى « سهيلًا » يرى من أعلاه ، ولذلك سمي أبو القاسم الأستاذ الحافظ مؤلف « الروض الأنف » : السهيلي[3] .

ويفيد الأستاذ عبد الله عنان أن سهيلا بلدة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد الرومان ، كانت تدعى : SELTANE ، فغير المسلمون اسمها إلى « سهيل » وما زالت قائمة حتى الآن ، وتعرف اليوم باسم : FUENGIROLA ، وتبعد عن مالقة بنحو ثلاثين كيلو مترا[4] .

مولده :

لا يكاد يقوم خلاف حول تاريخ ميلاد السهيلي أنه سنة ثمان وخمسمائة للهجرة (٥٠٨هـ) ، وأقدم تأكيد على ذلك جاء على لسان ابن دحية الذي قال :

---

(١) معجم البلدان (سهيل) ٢٩١/٣ ط/دار صادر . بيروت . ب . ت .

(٢) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: ٨٥. تحقيق د. محمد كمال شبانة . منشورات وزارة الأوقاف – المغرب .

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار: ٥٣٤. تحقيق د . إحسان عباس . ط ٢. وقارن برحلة التجاني : ٥٩. ط/الدار العربية للكتاب .

(٤) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال : ٢٥٧. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ١٩٦٢/٢.

« سألته عن مولده فأخبرني أنه ولد سنة ثمان وخمسمائة »[١] . وقد اعتمدت المصادر المتأخرة هذه الرواية ، ولم تجعلها مثار خلاف ، سوى ما نقله ابن الأبار[٢] ، قال : « وقال أبو القاسم بن الملجوم - أحد تلاميذ السهيلي -: « أخبرني أنه ولد عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة » ، شكَّ فيها لوقوع مداد على تاريخه ، كما لم يحقق الذهبي ميلاده ، كأن الأمر انبهم عليه ، فاكتفى بأن قال : « مولده سنة بضع وخمسمائة »[٣] ، واكتفى في موطن آخر بضبط تاريخ وفاته الذي جعله سنة إحدى وثمانين وخمسمائة (٥٨١هـ) ، وأعقب ذلك قوله : « وعاش اثنتين وسبعين سنة »[٤] ، فيؤول كلامه إلى أن السهيلي ولد سنة (٥٠٨هـ) .

تحقيق في عمى السهيلي :

اتفقت معظم المصادر على أن السهيلي أَضَرَّ وهو في السابعة عشرة من عمره ، وقد عَوّلت جميعها على ما جزم به ابن الأبار من أنه « كف بصره بماء نزل به وهو ابن سبع عشرة سنة أو نحوها »[٥] ، ولاشك أن هذا الخبر كان معتمَد الصفدي في إدراج ترجمته ضمن تراجم العميان[٦] .

---

(١) المطرب : ٢٣٣.
(٢) تكملة الصلة : ٣٣/٣ (نشرة د/الهراس) .
(٣) تذكرة الحفاظ ١٣٤٨/٤.
(٤) العبر في خبر من غبَر ٢٤٤/٤ تحقيق د. صلاح الدين المنجد (ط/ الكويت) .
(٥) تكملة الصلة ، ٣٢/٣.
(٦) هو كتابه الشهير بـ: « نكت الهميان في نكت العميان » ، وانظر ترجمة السهيلي في صفحة ١٨٧ - ١٨٨ منه . نشرة الأستاذ أحمد زكي . المطبعة الجمالية . ط١/ ١٩١١.

وقد شكك د. البنا[١] في عمى السهيلي معتمدًا ما يلي :

١- أن تلميذه ابن دحية - وهو أقدم من عني بأخباره - لا يشير إلى ذلك ، وكان حقيقًا به أن ينبه على هذه العاهة لو كانت قائمة بشيخه .

٢- أن كلامه في « الروض » قد يدفع إلى تحقيق ضرره .

قلت : أما الاحتجاج الأول فباطل ، لأنه إذا كان ابن دحية قد أغفل الإشارة إلى هذه المسألة ، فإنَّ اثنين من تلاميذ السهيلي قد نَبَّهَا عليها ، فقد جزم الضبي بأنه « كان مكفوف البصر »[٢] ، وقال ابن عربي الحاتمي الصوفي - وهو يتحدث عن مصادر كتابه : محاضرات الأبرار -: « وكتاب الروض الأنف لشيخنا الضرير أبي زيد السهيلي المالكي رحمه اللَّه »[٣] .

وأما الاحتجاج الثاني فقوي ، يستدعي تأملا ونظرا تُحَتِّمُهمَا نصوص جاءت في « الروض الأُنُف » ، وقد تتبعتها فوجدتها تزيد على العشرة[٤] ، وأكثرها فيه احتمالٌ ، ولا ينهض دليلًا للقطع بعمى السهيلي المبكر . على أني اهتديت أخيرًا إلى ما يقوي التشكيك في أن السهيلي قد فقد بصره تمامًا .

---

(١) مقدمة الأمالي : ٩. والسهيلي ومذهبه النحوي ٥١ - ٥٣.

(٢) بغية الملتمس : ٣٦٧ ط/دار الكتاب العربي . مصر . ١٩٦٧.

(٣) محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار ١/ ١٤٠. ط/دار صادر . بيروت . ب . ت .

(٤) ينظر الروض الأنف ١/ ١٠٥. ١٤١. ١٩٤. ٢/ ١٢٨، ١٤٩، ١٩٦، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٨٩. ٣/ ٣٨٢. ٤/ ٢٢٧، ٢٧٠، ونتائج الفكر : ٢٢٥.

فقد ذكر الزَّبيدي[(1)] في مادة (خ ز ج) أنها بفتح فسكون ، ونبه إلى أن الحافظ ابن حجر ضبطها كذلك ، ثم قال : « ووجد في الروض بخط السهيلي بفتحتين » .

فإذا صح هذا الخبر ، فإن السهيلي قد كان متمتعًا ببصره وقد جاوز الستين من عمره ، يؤكد ذلك أنه لم يفرغ من تأليف « الروض الأنف » إلا في جمادى الأولى من سنة تسع وستين وخمسمائة كما أخبر هو بذلك[(2)] .

وأما نشأته فكانت بمالقة ، يقول ابن دحية[(3)] : « نشأ بمالقة وبها تعرف ، وفي أكنافها تصرف ، حتى بزغت في البلاغة شمسه ، ونزعت إلى مطامح الهمم نفسه » .

والظاهر أن السهيلي قد عانى شظف العيش ومرارة الفقر أكثر عمره ، إذ صح أنه « كان ببلده يتسوغ بالعفاف ، ويتبلغ بالكفاف »[(4)] . وليس الأمر بدعا ، فقد كان الفقر شعار العلماء ودثارهم فيما مضى من الزمن ، ويرحم اللَّه القائل :

قلت للفقر : أين أنت مقيم؟ قال لي : في عمائم الفقهاء!

إن بيني وبينهم لإخاءً وعزيز عليَّ تركُ الإخاءِ

ويبدو أن فم الزمان قد ابتسم للسهيلي في أخريات حياته ، بعد أن نمى خبره إلى

---

(١) تاج العروس ٥/٥٢٣ - ٥٢٤. تحقيق مصطفى حجازي. ط/الكويت ١٩٦٩.

(٢) الروض الأنف ١/٥.

(٣) المطرب : ٢٣٣.

(٤) المصدر نفسه : ٢٣٣.

الخلافة الموحدية ، فاستدعى إلى عاصمتها مراكش ليسمع بها علمه . «وكان وصوله إلى الحضرة والعمر قد عسا وذبل عوده ، وذهب العيش وأفل سعوده ، فعندما عاش مات ...»[(١)] وتوفي رحمه الله بمراكش - على المشهور[(٢)] سنة ٥٨١هـ ، وقبره بها معروف[(٣)] .

وقد كان القرن السادس الهجري الذي أظَلَّ السهيلي من أخصب القرون علما وثقافة بالأندلس ، ذلك بأنه برز فيه علماء سارت بذكرهم الركبان ، وضربت إليهم أكباد الإبل ، وقد كانت حلقات العلم - عصرئذ - تعجّ بفنون العلم ، وأصناف المعرفة ، وإن كان الاتجاه الذي ظهر في هذه الفترة وغطى على غيره من الدراسات هو الميل إلى العلوم اللغوية والنحوية التي نشط فيها الأندلسيون نشاطًا كبيرًا .

ويُرَجَّح أن يكون السهيلي قد أخذ تعليمه الأولي على يد أبيه ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولى من علوم العربية وقواعدها ، ثم أخذ ينهل من حياض

---

(١) نفسه : ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) ذهب المقري إلى أن وفاته كانت سنة ٥٨٣ هـ . النفح ٣/ ٤٠١. وأما الفيروزآبادي فجعل وفاته سنة ٥٨٨هـ. البلغة في تاريخ أئمة اللغة : ١٢٣.

(٣) ذكر الناصري في الاستقصا ٢٠٤/٢ أن قبره يوجد خارج باب الرب أحد أبواب مراكش.
وأفاد الدكتور عبد الهادي التازي أن ضريح السهيلي قد تقرر بناؤه بعد هدم معظم باب الشريعة ، أحد أبواب مراكش . انظر المن بالإمامة ، لابن صاحب الصلاة : ٢١٤. الهامش .
ويحسن التنبيه هنا إلى أن السهيلي معدود ضمن سبعة رجال الذين اشتهرت أخبار صلاحهم واعتاد الناس زيارة أضرحتهم تبركا بهم . ينظر في التعريف بهم : الارتجال في مناقب سبعة رجال لمحمد الأمين الصحراوي . مخطوط الخزانة الحسنية ، تحت رقم ١٩٤، وإظهار الكمال في مناقب سبعة رجال ، للعباس ابن إبراهيم ، مخطوط الخزانة الحسنية كذلك تحت رقم : ٢٣٢. وأطروحة الدكتور حسن جلاب : «الحركة الصوفية بمراكش - ظاهرة سبعة رجال نموذجا» .

العلم ، من فقه ، وحديث ، وتفسير ، وقراءات ، وتاريخ ، ولغة ، ونحو ، وهي الفنون التي كانت تغص بها حلقات العلم ، ويلقنها شيوخ مبرزون ، أمثال القاضي أبي بكر بن العربي ، وأبي بكر بن طاهر الإشبيلي ، وابن الطراوة ، وابن الرماك ، وقد كان لهؤلاء - ولغيرهم من المشايخ[1] - فضل كبير على ثقافة السهيلي المتنوعة ، وإن يكن الأخيران أكثر تأثيرًا في ثقافته التي يغلب عليها اللغة والنحو .

وقد كان السهيلي بحكم ذكائه الحاد ، وحافظته القوية مؤهلا ليكون عالما مبرزا ، بحيث حذق فنونا وتخصص فيها ؛ فقد أتقن علم القراءات وعُدَّ من شيوخه ، فضلا عن شهرته بحفظ السِّيَر والأخبار والأنساب ، وإن كتابه « الروض الأنف » - وهو أشهر تآليفه - لشاهد على ذلك ، إذ هو مجمَّع معارف ، فما شئت من أحداث تاريخية إلى استنباطات فقهية ، وتحقيقات نحوية إلى غير ذلك من أفانين العلم ، ودقائق النكت التي طرز بها أبوابه واستكمل أغراضه .

شعره :

كان السهيلي - كما ذكر ابن الأبار[2] - على حظ وافر من قرض الشعر ، ونص غير واحد ممن ترجموا له[3] على أن أشعاره كثيرة .

غير أن الآراء فيما خلفه من شعر تباينت بين مستحسن لنظمه ، منوه

---

(١) عِدَّة ما انتهت إليه متابعتي لشيوخه بضعة وثلاثون عَرَّفْتُ بهم في رسالتى : « أبو القاسم السهيلي مفسرًا » ١/٣٣ - ٤١ ، وهي مرقومة بمكتبة كلية الآداب بوجدة .

(٢) تكملة الصلة ٣/٣٢ تحقيق د . عبد السلام الهراس . دار المعرفة . المغرب . ط ١ .

(٣) ينظر : أدباء مالقة : ١٢٧ (مخطوط) ، والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٨ ، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٢ .

بجودته[1]، وقائل بقصوره عن الجيد[2] ولعل الرأي الثاني يستند إلى كون السهيلي فقيها، وقد كان الأدباء ولا يزالون يقدحون في شاعرية الفقهاء وينازعونهم في صنعة الشعر[3].

وقد تناول السهيلي في شعره أغراضا مختلفة، من مدح، وتوسل، ووصف، وغزل، وحنين، ولم أقف له في الهجاء على شيء بل لم تعلم له عداوة لأحد معاصريه - وهو الأمر الذي يدعو عادة إلى تراشق سهام المثالب - إلا ما كان بينه وبين الرصافي البلنسي، ولم تفصح المصادر عن حقيقة الهجر بين الشاعرين الذي أوعز إلى الأخير قوله[4]:

عفا اللّه عني فإني امرؤ ... أتيت السلامة من بابها

على أن عندي لمن هاجني ... كنائن غصت بنشابها

ولو كنت أرمي بها مسلما ... لكان السهيلي أولى بها

ولئن كانت أكثر المصادر قد أجمعت على أن له شعرًا كثيرًا، فإنها لم تسعف إلا بالقليل منه، ذلك بأنه لم يتحصل لي - بعد طول بحث وتقص - إلا قصائد

---

(١) أدباء مالقة: ١٢٧.

(٢) الإحاطة ٣/ ٤٨٠.

(٣) ينظر ما كتبه الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله - في مقدمة تحقيقه لكتاب الاشتقاق لابن دريد: ٢٢، ط ١، وكتاب أدب الفقهاء، للعلامة الراحل عبد الله كنون رحمه الله.

(٤) أَخَلَّ بالأبيات شعرهُ الذي جمعه الدكتور إحسان عباس، وهي في النفح ٤/ ٣٧٠. ط/دار صادر. بيروت. وإظهار الكمال: ٣٣٧ والإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٧.

ومقطعات ونتف محدودة يمكن توزيعها كالآتي :

١- التوسل : وله فيه بائية ودالية ، وعينيّتان ، ونونية .

أما البائية فمجموع أبياتها عشرون ، طالعها قوله :

صرفت إلى رب الأنام مطالبي   ووجهت وجهي نحوه ومآربي

وآخرها قوله :

وأزكى صلاة ينتهي القطر دونها   ويقصر عن إحصائها كل حاسب

والدالية مقطوعة من خمسة أبيات ، استهلها بقوله :

إلى خير مأمول قصدت بحاجتي   ولو غيره يممت ما نفع القصد

وختمها بقوله :

فما زلة إلا وعفوك فوقها   ولا خطأ في العالمين ولا عمد

والعينيّتان : كبرى وصغرى

أما الكبرى فعدة أبياتها ستة وعشرون ، طالعها قوله :

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلا   تباركت تعطي من تشاء وتمنع

وآخرها قوله :

ثم الصلاة على النبي وآله   خيرِ الأنام ومن به نتشفع

أما القصيدة النونية فعدة أبياتها ثمانية ، طالعها قوله :

ولما رأيت الدهر تسطو خطوبه   بكل جَليدٍ في الورى وهِدَانِ

ومنتهاها قوله :

تغطيت من دهري بظل جناحه   فعيني ترى دهري وليس يراني

وبين هذه القصائد خيط رابط ، إذ هي تعالج غرضا واحدا هو التوسل إلى الخالق والتضرع إليه .

ويمكن القول – إجمالا –: إن هذه القصائد تشترك في ثلاث وحدات جزئية :

١– تمهيد استعدادي للموضوع ، ويتناول إخلاص النية إلى الخالق وإظهار عظمته ، وطالع العينيتين نموذج لذلك .

٢– الغرض الأساس ، ويعالج فكرة التوسل إلى الباري جلت قدرته ، وفيه يعبر السهيلي عن توبته مما صدر منه من ذنوب وخطايا ، ويعقد العزم على اللجوء إلى اللّٰه عز وجل ، سائلا إياه العفو والمغفرة ، قارعا باب رحمته التي لا ترد مذنبا خائبا ، كقوله في الكبرى :

إلهي لئن جلت وجُمَّت خطيتي   فعفوك عن ذنبي أجلّ وأوسعُ

إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها   فها أنا في بحر الندامة أرتعُ

إلهي لئن فرطت في طلب التقى   فها أنا إثر العفو أقفو وأتبع

وقوله في الصغرى :

حاشا لمجدك أن تقنط عاصيا   الفضل أجزل والمواهب أوسع

بالذل قد وافيت بابك عالما ... أن التذلل عند بابك ينفع

وجعلت معتمدي عليك توكلا ... وبسطت كفي سائلا أتضرّع

وقوله في البائية :

مجيري من الخطب المخيف وناصري ... مُغيثي إذا ضاقت علي مذاهبي

مقيلي إذا زلت بي النعل عاثرًا ... وأسمح غفار وأكرمُ واهب

كريم يلبي عبده كلما دعَا ... نهارا وليلا في الدجى والغياهب

يقول له لبيك عبدي داعيا ... وإن كنت خطّاء كثير المعايب

٣- وحدة ختامية ، وتعرض لإثارة شفاعة الرسول ﷺ ، كقوله في الكبرى :

إلهي بحق الهاشمي وآله ... وحرمة إبراهيم من لك يخشع

إلهي فأشْهِدْني على دين أحمد ... نبيا تقيا قانتا لك أخشع

فلا تحرمني إلهي وسيدي ... شفاعَتَه الكبرى فذاك مُشفَّع

وقوله في البائية :

وحسبي رسول اللّه في كل أزمة ... ملاذًا وأمْنًا في اخْتشاء العواقب

وحسبي رسول اللّه أَوْثَقُ شافع ... وأكرمُ من مُدَّت له كَفُّ راغب

ولئن كانت هذه القصائد مما تردد على ألسنة المادحين والمُنْشدِين في حلقات الذكر ، فإن العينية الصغرى قد سارت كل مسار ، واشتهرت أيما اشتهار بين

الخاصة والعامة ، ولا يزال أهل المغرب ينشدونها - إلى جانب بردة البوصيري وهمزيته - في أفراحهم وأتراحهم .

وقد شدت العينية الصغرى طائفة من الشعراء ، فَخَمَّسوها وسدسوها[1] .

فممن خمسها أحمد بن عبد العزيز السجلماسي ، وطالع قصيدته :

يا ربنا بالسبع الغرّ الأُلَى   لهم من الفضل المقام الأرفع

وإبراهيم السنوسي ، ومستهل قصيدته :

مولاي باسمك ثم حمدك أضرع   وبمن لديك له المقام الأرفع

وابن حِجَّة الحموي ، وأول قصيدته :

* قالوا عداك وأنت حي تسمع *

وأحمد الزفنكي[2] ، وطالع قصيدته :

يامن له كل المآرب ترفع   ولقهر سطوته نذل ونخشع

وسدسها أحدُهم بقصيدة طالعها :

إن كنت حقا عن ذنوبك تجزع   فافزع إلى الباري بقلب يخشع

---

(١) كشف الظنون ٢/ ٣٤١.

(٢) ينظر تخميسه في مجلة المرآة القبرصية . عدد ١ السنة ٢. ص ٢٩ أيلول ٨٧.

وضمن أحدهم بعض أبياتها في قصيدة[1] طالعها :

يا من يُنادى بالضمير فيسمع ويرى فلا يخفى عليه موضع

ولعل إقبال عامة الناس على هذه القصيدة ، وعناية الشعراء الفائقة بها إنشادًا ومعارضة يرجع إلى كلمة مأثورة عن جماعة ممن ترجموا للسهيلي - نقلا عن تلميذه ابن دحية - قال : « وأنشدني - رحمه اللّه ، وذكر لي أنه ما سأل (أحد) اللّه بها حاجة إلا أعطاه إياه ، وكذلك من استعمل إنشادها »[2] .

وإنه لَحَقِيقٌ بقصيدة تعلّقَ رجاءُ قضاءِ الحوائج بإنشادها ونيل الخير والبركة بتلاوتها أن تذيع هذا الذيوع ، ويكتب لها من الشهرة والانتشار ما لم يكتب لغيرها .

ويمكن القول : إن شعر السهيلي التوسلي قد تجلت فيه السمات الآتية :

١- غلبة الاتجاه الزهدي ، وليس ذلك بدعا ، فقد كان « يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف »[3] .

وقد كان زاهدا حقًّا لا متزهدا[4] ، يؤكد ذلك رغبته عن قصور الأمراء ، في

---

(١) قف على هذه القصيدة في الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب ، للشيخ عبد الصمد كنون : ٢١١ بعناية د . محمد أبي الأجفان . تونس . ط ٢.

(٢) المطرب : ٢٣٤.

(٣) نفسه : ٢٣٢.

(٤) وإن تعجب فعجب قول الباحث رضا عبد الجليل الطيار وهو يتحدث عن كتاب « الروض الأنف » : وهو من الكتب المهداة إلى أولي الأمر ، وبأسلوب فيه كثير من التصاغر ... ثم تملقهم ... إلخ . ينظر كتابه : الدراسات اللغوية في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ص ١٥٦ ط : دار الرشيد بغداد .

عصر كان العلماء والشعراء يتهافتون على أبوابهم ، وإن في شعره التوسلي إشارات صريحة إلى ما كان عليه حال أهل العلم والأدب من لجوء إلى الملوك ، وتراص على أبوابهم :

إذا سدت الأملاك دوني بابَها ونهنه عن غشيانهم زجر حاجب

فزعت إلى باب المهيمن ضارعا ذليلا أنادي باسمه غير هائب

فلم أُلْفِ حُجّابًا ولم أخْشَ منعه وإن كان سؤلي فوق هام الكواكب

وثمة مسألة ثانية تؤكد زهد السهيلي وحقيقة توكله على خالقه ، وهي جهره بعدم مسايرة المذهب الظاهري ووصفه أَتْباعه بأنهم ليسوا من أرباب الحقائق[1] ، وهذا تشنيع صريح بأنصار هذا المذهب ، وفي طليعتهم أبو يوسف الموحدي الذي حمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث ، وتوعد من خالفه بالعقوبة الشديدة[2] .

٢- استيحاؤه معاني قصائده التوسلية من نصوص الكتاب والسنة ، وهو أمر طبيعي ، إذ المقام يتعلق بغرض ديني محض ، لا تشوبه شوائب الدنيا ، ولا منزع فيه لملاذها وبهارجها ، فتوسله بذلك نصي شرعي .

---

(١) ينظر في ذلك : الروض الأنف ٢٨١/٣ - ٢٨٢.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، للمراكشي ٤٠٠ - ٤٠٢. تحقيق سعيد العريان ورفيقه ط/دار الكتاب . الدار البيضاء . المغرب .

فهو مثلا حين يستهل عينيته الكبرى بقوله :

لك المجد ياذا المجد والجود والعلا   تباركت تعطي من تشاء وتمنع

يستند إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الإسراء : ٣٠] .

وقوله :

إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ   فؤادي فلي في جود بحرك مطمع

يحيل على قوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] .

وفي بيته :

إلهي أَذِقْني طعم عفوك يوم لا   بنونٌ ولا مالٌ هناك فينفع

تعريج على قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] .

وبيتاه في البائية :

فلا تخش إقلالا وإن كنت مكثرا   فعرفيَ مبذول إلى كل طالب

فسائله مما شئت إن يمينه   تَسُحُّ دفاقًا بالمنى والرغائب

يتكئ فيهما على قوله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] . وقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل واحد

مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر »[1] .

والسهيلي – أخيرا – حين يثير في خاتمة قصائده التوسلية مسألة الشفاعة يعتمد على نصوص حديثية ، منها ما أخرجه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبي دعوة تستجاب له ، وأريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة »[2] .

٣- الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ، ونبذ كل خلاف ، في عصر اشتعلت فيه نار الفتن ، ونشطت البدع ، وبخاصة دعوة المهدوية والعصمة التي وضع أسسها المهدي بن تومرت واحتضنها أمراء الموحدين وروّجوا لها :

فحسبي ربي في الهزائز ملجأ   وحِرْزًا إذا خيفت سهام النوائب

وحسبي رسول الله في كل أزمة   ملاذًا وأمْنًا في اختشاء العواقب

٤- يرى الدكتور حسن جلاب[3] أن ما يطبع شعر السهيلي التوسلي هو : « بنية التوارد ، إذ يفتقد لديه ما هو معروف في توسل القاضي عياض مثلا من تنظيم وتنسيق في مجال المَبْنَى والمعنى وترتيب الأفكار والفقرات ، فما يميز شعره التوسلي هو اعتماد ظاهرة « توارد المعاني » ، فهو لا يرتبها ، وإنما يطلق النفس

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤. صحيح مسلم ، تحقيق فؤاد عبد الباقي . بيروت ط ٢/ ١٩٧٢.

(٢) ينظر المسند ٢/ ٣١٣، ٤٠٩، ٤٣٠، ٤٨٦، و ٣/ ٢٠. ط/المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٢.

(٣) ينظر مقاله : هاجس الذنب في شعر أبي القاسم السهيلي . مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية . العدد ٢، ص ٩٣.

على سجيتها لتقول ما تشاء.

٥- تردد بعض المصطلحات الصوفية في شعره التوسلي: (حال، حقيقة، رجاء، فقر ...)، إلا أن الخطاب الشعري الصوفي عند السهيلي أقرب إلى المنحى الزهدي عند موسى المارتلي، وابن الوكيل، وابن محرز البَلَنْسي منه إلى المنحى الصوفي الفلسفي عند ابن عربي والششتري والرعيني وأضرابهم»[1].

وعلى المستوى الموسيقي يلاحظ أن السهيلي قد اختار لقصائده التوسلية بحورا طويلة، ومرجع هذا في نظر الدكتور إبراهيم أنيس وبعض المعاصرين أن الإنسان في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه. وبحر الطويل - وهو ما اختاره السهيلي؛ العينية الكبرى والبائية - يعد عند بعض النقاد القدامى[2] من الأعاريض الفخمة الرصينة الصالحة لمقاصد الجد كالفخر والمدح. وليس ثمت غرض أكثر جدية من الشعر الزهدي أو التوسلي.

أما الدكتور حسن جلاب[3] فيرجع سبب اختيار السهيلي بحري الطويل والكامل لشعره التوسلي إلى كونهما من أكثر البحور حركات وحروفا ومقاطع، وأنهما يعطيان أكثر من غيرهما إمكانيات الحوار مع النفس والآخرين، والسهيلي في قصائده التوسلية يحاور نفسه وربه، عارضا أخطاءه وذنوبه، ملتمسا الصفح والعفو.

---

(١) المرجع السابق. العدد ٣. ص ٩٤.
(٢) منهاج البلغاء، لحازم القرطاجني: ٢٦٦ تحقيق د. محمد الحبيب بلخوجة. دار الغرب الإسلامي. ط ٣.
(٣) هاجس الذنب في شعر السهيلي: عدد ٢. ص ٩٤.

المدح :

لا خلاف بين الدارسين أن بضاعة الفقهاء في المدح مزجاة ، وسبب ذلك ظاهر ، فهم راغبون عَنْ قصور الأمراء ومجالسهم ، زاهدون في هباتهم وجوائزهم ، حتى إن كلمتهم أصفقت - كما قال الأستاذ عبد اللّه كنون[1] - رحمه اللّه - على ذم من خالف هذا السلوك ، وتعلق بأذيال الملوك ، وكأنهم يتمثلون قول أبي القاسم الشاطبي[2] :

قُـلْ لِـلأَمِـيـرِ مَـقَـالَـةً مِـنْ نـاصـحٍ فَـطِـنٍ نَـبـيـهِ
إن الـفـقـيـهَ إذا أَتَـى أبـوابَـكـم لا خَـيْـرَ فِيهِ

على أن طائفة من الفقهاء شذوا عن هذه القاعدة ، فمدحوا الملوك والخلفاء ، إلا أن مدحهم لم تَشُبْهُ شائبة التملق ولا مذلة السؤال .

وقد كان السهيلي - وهو فقيه - أحد هؤلاء الذين اشتهرت لهم قصائد في هذا الغرض ، غير أن ما أسعفت به المصادر من شعره لا يسمح بتقويم إنتاجه فيه ، إذ ضاع أكثره ، يرجح ذلك أنه كان كثير الإعجاب بخلفاء الموحدين الذين عاصرهم ، شديد التنويه بخصالهم ومكارمهم ، حتى إنه ليحمد اللّه الذي ألحقه بعصابتهم ، وخلقه في إبان خلافتهم[3] .

---

(١) ينظر أدب الفقهاء : ١٤٣. دار الكتاب العربي . بيروت .
(٢) البيان في نفح الطيب ٢/ ٢٣. تحقيق د. إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ، وبغية الوعاة ، ٢/ ٢٦٠.
(٣) الروض الأنف ١/ ٣.

في دولة لحظ الزمان شعاعها   فارتد منتكصا بعيني أرمد

من كان مولده تَقَدَّم قبلها   أو بعدها فكأنه لم يولد

وقد اغتالت يد الضياع - كما أسلفت - أكثرَ هذا الشعر، ولم تَجُدْ إلا بقصيدتين؛ أنشد أولاهما في مدح الخلافة الموحدية، فلمح إلى عبد المومن بن علي وَنَوَّهَ بخصاله ومناقبه، وعرج على ذكر ابنه أبي سعيد عثمان تصريحا. وفي كتاب «أدباء مالقة» مختارات من القصيدتين[1].

وإذا كان القول بضياع أكثر شعر السهيلي في مدح أمراء الموحدين ظنيا ترجيحيا، فإنَّ ثمت خبرا قطعيا يشهد لضياع طائفة من شعره في المدح، فقد ذكر ابن الخطيب[2] أن السهيلي دخل غَرناطة، وكان كثير التأمل والمدح، لأبي الحسين ابن أضحى قاضيها وَرَيِّسِها، وله في مدحه أشعار كثيرة، أخبرني بذلك - يقول ابن الخطيب - صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عن من يثق به.

وقد سكتت مصادر ترجمة السهيلي عن هذه الأشعار الكثيرة، ولم تسعف ولو بالنزر اليسير منها. أما القصيدتان اللتان ساق ابن خَمِيس مختارات منهما، فأولاهما - حسب ترتيبه - طالعها قوله:

الدين يُشرِقُ والأيام تبتسم   والدهر معتذر والخطب محتشم

وعِدَّةُ ما اختير من هذه القصيدة - وهي طويلة - ثلاثة عشر بيتا.

---

(١) ينظر شعره. القصيدتان: ٦ و ٢١.

(٢) الإحاطة ٣/ ٤٧٩.

أما القصيدة الثانية فدالية ، طالعها قوله :

العود أحمد من بدءٍ حَلَا فَعُدِ ... إلى المدائح في القرب وفي بُعُدِ

ومجموع ما انتُخِبَ من القصيدة - وهي طويلة كسابقتها - ستة أبيات . وقد حذا السهيلي في مدح الموحدين حذو معاصريه من الشعراء ، فخلع على ممدوحَيْه - عبد المؤمن وابنه أبي سعيد - نعوتا كان مدار قصائد المدح عليها ؛ يقول :

الدين يشرق والأيام تبتسم ... والدهر معتذر والخطب محتشم

ودولة الحق والتوحيد قد وضحت ... لها بشائر زاحت عندها الغمم

السعد يقدمها والنصر يخدمها ... ما حاز مقدمه إلا هَمَتْ نعَمُ

سيف نضاه أمير المؤمنين متى ... يُرِمَ العدَا بحسام مثله هَضِمُوا

وهْوَ الغمام الذي يغشى البلاد ولم ... ترحل إليه فتحيي تُرْبَهَا الدِّيَمُ

يدنيه من كل ذي أرضٍ تواضُعُه ... وفوق هامة كيوانٍ له قدَمُ

لو كان مُنْقَسِمًا من رأفةٍ ملك ... بين الرعية أضحى وهْوَ منقَسِمُ

ويخلص السهيلي بعد هذا إلى مدح أبي سعيد ، فيشير إلى تولية أبيه إياه على غَرناطة وَيُنَوِّهُ بخصاله الحميدة التي تجلت في حماية الحُرَم ، لما عرف به من شدة وصرامة وندى يده الذي أشبه ماء زمزم :

هذا ابنه وهْوَ بعض منه خص به ... هذي الجزيرة كي تُحْمَى به الحُرَمُ

ما إنْ رأَوا قبلَه من كعبة قُصِدَت جَلاَلَهَا ولهم من ظلها حَرَمُ

كأن سَيْبَ نداه ماءُ زمزمها وكفُّهُ الركنُ إذْ يُغْشَى ويُستَلَمُ

ولا تكاد تخرج أبيات الدالية عن هذه المعاني ، فأبو سعيد صورة من أبيه ، ولعل أصدق وصف لهذا الممدوح ما نعته به المراكشي [1] الذي قال فيه : « وكان من نبهاء أولاد (عبد المؤمن) ونجبائهم وذوي الصرامة منهم . وكان محبا في الآداب ، مؤثرا لأهلها ، يهتز للشعر ويُثيبُ عليه ، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكُتّاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك بعده » .

والسهيلي حين يشيد بالأميرين عبد المؤمن وابنه لا يركب جناح الخيال ، أو يتزيد في الكلام ، بل يَمْدَحُهُما بما عُرِفا به من خلال حميدة . فقد كان عبد المؤمن – كما يقول المراكشي – « سري الهمة ، نزيه النفس ، شديد الملوكية ، كأنه كان ورثها كابرا عن كابر ، لا يرضى إلا بمعالي الأمور ... ولم يزل – بعد وفاة ابن تومرت – يطوي الممالك مملكة مملكة ، إلى أن ذلت له البلاد ، وأطاعته العباد » [2] . وكان – إلى جانب هذا – محببا إلى النفوس ، لا يراه أحد إلا أحبه بديهة ، حتى قيل إن ابن تومرت كان كلما رآه ينشد [3] :

تَكَامَلَتْ فيكَ أخْلاَقٌ خُصِصْتَ بها فكُلُّنا بك مسرورٌ ومغتبطُ

(١) المعجب : ٣٢٧.

(٢) نفسه : ٢٨٩ (بتصرف) .

(٣) عزا ابن خلكان البيتين لأبي الشبل الخزاعي . وفيات الأعيان ٣/ ٢٣٨. وهما بلا عَزو في المعجب : ١٩٧. والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٦٣، والأنيس المطرب : ١٨٤.

فالسِّنُّ ضَاحِكَةٌ والكَفُّ مَانِحَةٌ والصدرُ منشرحٌ والوجهُ منبسطُ

وكان أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن معروفا بشدته وصلابته ، مُعَوَّلًا عليه في الغزوات والحروب ، يُبْلي فيها البلاءَ الحسن ، فقد عُهِد إليه أمر بطليوس لإحياء رسمها بعد مماتها ، وإخراج النصارى عن جنباتها[1] ، فَتَمَّ له ما أراد ، ثم تحرك بمعية أخيه أبي حفص من إشبيلية إلى قرطبة لغزو عدوهما ابن مردنيش ، فظهرت لهما الغلبة عليه ، هذا فضلا عما اشتهر به من نباهة ونجابة وحب للآداب وإيثار لأهلها واحتضان للشعراء .

الغزل والحنين :

للسهيلي في الغزل مقطعات ونتف حملتها إلينا بعض المصادر ، وهي – على ندرتها – لا تخلو من رقة في المعاني ، وجودة في الصياغة ، كقوله :

أبدى الهوى وتجافى عن زيارتنا وظل يكثر من عذرٍ ومن عِلَلِ

لا تَدَّعِ حبَّ من أتلفت مهجَتَه بالصد منك وبالإعراض والبَخَلِ

تقول لا حيلة للوصل أعرفُها لو صَحَّ منك الهوى أُرْشِدْتَ لِلْحِيَلِ

وقوله :

وذي نَفَسٍ أَنَمَّ من الخُزامى وثغر مثل ما عبقت مدام

---

(١) انظر البيان المغرب لابن عذارى (قسم الموحدين) ١١١. تحقيق محمد إبراهيم التطواني وآخرين. دار الغرب الإسلامي /دار الثقافة ، ط ١.

شكوت له الهوى وبكيت شوقًا فأعقب عبرتي منه ابتسام

فقلت أضاحِكٌ منِّي وَهَذي دموعي عن لظى كبدي سجام

فقال الروض تضحك كلَّ حين أزاهـرُه إذا دمـع الـغـمـام

ولم يُعَانِ السهيلي في الغزل بحرا واحدا ، بل طلب له بحورًا متنوعة ، فله في الطويل بيتان ، والكامل تسعة أبيات ، والوافر أربعة ، وأنشد في المتقارب ، والسريع ، وله في كل منهما ثلاثة أبيات .

وأما الحنين ، فالظاهر أنه قد أكثر النظم فيه ، وأبرز ما له في هذا اللون الأدبي قصيدة أنشدها في صديقه الفقيه المحدث أبي إسحاق بن قرقول ، ويبدو أن الصلة بين الصديقين كانت وثيقة ، وحبال المودة بينهما موصولة ، يشهد لذلك حرقة البين ، ولوعة الأسى التي اكتوى السهيلي بنارها إثر رحيل ابن قرقول إلى سلا ، ومما زاد أسى الفراق في صدر السهيلي أنه ذاق طعم الهجر قبل ذلك ، حين رحل صاحبه هذا إلى سبتة ، فلم يُنْسِهِ البعادُ رفيقه ، بل زاده إليه شوقا وحنينا :

بكيت أسىً أزمانَ كان بسبتة فكيف التأَسّي حين منزلُه سَلَا

وقال أنَاسٌ إنَّ في البعد سلوةً وقد طال هذا البعد والقلب ما سلا

وفي القصيدة من رعاية الود ، والثبات على العهد وَصلًا لحبل المودة وإحكامًا لآصرة الصداقة ما ليس تجود به الأيام إلا لماما .

وعلى مستوى الصياغة الشعرية ، فإن مما يشد قارئ هذه القصيدة أن السهيلي قد ألزم نفسه ما لا يلزم ، فقد التزم في مجموع أبياتها أن تشتمل القافية على

« سلا » . أما الصناعة البديعية فيها فواضحة ، كما أنه عمد إلى توظيف بعض مخزونه العلمي بتضمينه أحد أبيات هذه القصيدة اصطلاحا حديثيا في أسلوب أدبي رائق :

فقد كان يُهديني الحدثَ موصلا فأصبح موصول الأحاديث مرسلا

الرثاء :

لعل ما تقدم القول به من ضياع شعر كثير للسهيلي في المدح يصدق على الرثاء، فمثلما تقدم له من مدائحَ في أمراء الموحدين الذين عاصرهم وأشاد بأفضالهم وفضائلهم ، فليس ثَمَّ شك في أن تكون له مَراثٍ في من أدركه الموت منهم ، وسكتت عنها مصادر ترجمته ، وقد عاصر السهيلي حدثا بارزا تجلى في وباء الطاعون الذي نزل بمراكش سنة إحدى وسبعين وخمسمائة (٥٧١هـ) في أول شهر ذي القعدة[1] ، وقد لقي عدد هائل من الناس مصرعهم ، وكان ممن هلك من الأشراف الأمير أبو سعيد الذي تقدم للسهيلي فيه مدح ، وغير مستبعد أن يكون قد رثاه وصَوَّر آثار هذه الفاجعة التي لم يعهد مثلها فيما تقدم من الزمن . كما أن صاحبه ابن قرقول قد توفي سنة تسع وستين وخمسمائة (٥٦٩هـ) فلا يستبعد كذلك أن يكون قَدْ رَثَاهُ بقصيدة أو أكثر ، تخليدا لمآثره ، ورعاية لحبل المودة الذي كان يجمع بينهما . وقد سلم من شعره في هذا الغرض مقطوعة أنشدها في بلده ، بعد أن خربته الفرنج ، وقتلت رجاله ونساءه ، وكان غائبا عنه ، طالعها قوله :

(١) انظر البيان المغرب (قسم الموحدين) .

يـا دار أيـن الـبـيـض والآرام   أم أيـن جيـران علـيّ كـرام ؟!

وهو إذ يَسْتَهلُّها بهذا السؤال الذي تطبعه الحيرة والأسى ، لا يلبث أن يفطن إلى السكون الذي خيم على بلده ، بعد أن صار خرابا وأطلالا يقول :

رَابَ المُحِـبَّ مـن المنـازل أنّـه   حَيًّا فـلـم يـرجـع إلـيه سـلامُ

أخرسنَ أم بَعُدَ المدى فنسينه   أم غالَ من كان المجيب حِمامُ ؟

وإنها لفاجعة تقصم الظهر ، وتهد الكيان أن ينوء الدهر بكلكله على بَلَدٍ كان مرتع صبا الشاعر ومربع شبابه ، وموطن أهله وأحبته :

دمعي شهيدي أنني لم أنسهم   إن السُّلُوَّ على المحِبِّ حرامُ

لما أجابني الصدى عنهم ولم   يلج المسامع للحبيب كلامُ

طَارَحْتُ وُرْقَ حمامها مترنما   بمقال صب والدموع سِجامُ

ومنتهى الأسى والحزن يعكسه آخر بيت في هذه المقطوعة :

يـا دار مـا فعلـت بك الأيام   ضـامتـك والأيام لـيس تـضام

وعلى المستوى الموسيقي فقد اختار السهيلي لمقطوعته هذه بحر الكامل ، وهو من البحور الطويلة . والشاعر في وقت المصيبة والهلع – فيما يرى الدكتور إبراهيم أنيس[1] – يتأثر بالانفعال النفسي ويطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة النفس وازدياد

(١) موسيقى الشعر : ١٩٦.

النبضات القلبية ، والظاهر أن مقطوعة السهيلي قد شذت عن هذه القاعدة .

فنون شتى :

لم يفت السهيلي أن يطرق – ولو في نتف – أغراضًا مختلفة ، ولعله قصد إلى التأكيد على رسوخ قدمه في مجال الأدب ، وسعة أفقه للرؤية الشعرية والإعلان عن اهتماماته الأدبية المتنوعة ، فلا ينبز بضحالة المادة ، أو قصر الباع .

ومن الفنون التي نظم فيها أبياتا : الوصايا والحكم ، كقوله :

تواضع إذا كنت تبغي العلا ... وكن راسبا عند طَفْوِ الغَضَبْ

فَخَفْضُ الفتى نَفْسَهُ رفعَةٌ ... له واعتبر برسوب الذَّهَبْ

وقال ملغزا في محمل كتب :

حامل للعلوم غير فقيه ... ليس يرجو برا ولا يتقيه

يحمل العلم فاتحا قَدَمَيْه ... فإذا انضمتا فلا علم فيه

وله في وصف المجَبَّنَة[1] – وهي من أفخر ما يضع المغاربة من المآكل – أبيات ، منها :

شغف الفؤادَ نواعمٌ أبكارُ ... بَرَدَتْ فؤادَ الصَّبِّ وهْيَ حِرَارُ

(١) المجبنة : أكلة تعمل من الجبن الطري ويجعل من العجين ويقلى وينزل في العسل ، ويذر عليه السكر ، وينظر : فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، لابن رزين التجيبي : ٨٢ – ٨٥. تحقيق د . محمد بن شقرون . ط/دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢.

عَجَبًا لها وهيَ النعيم تصوغها   نار وأين من النعيم النار؟!

ولم يفته أن يقرظ كتابه « الروض الأنف » بقصيدة انتخب له ابن دحية منها ثلاثة أبيات ، وهي :

من سره أن يشيم الطرف من شرف   في روضة جمة الأزهار والطُّرَفِ

فناظر القلب أولى أن ينزهه   من المعارف وَسْطَ الروضة الأُنُفِ

فقد أَلاحت لذي لُبٍّ أزاهرُها   وقد دَعَتْ لجَنَاهَا كَفَّ مُقْتَطِفِ

وأخيرًا ، فإن السهيلي قد شغله بيتا الحريري الذي زعم أنهما « أُمِنا أن يُعزَّزَا بثالث » وهما :

سم سمة تحسن آثارها   واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته   لتقتني السؤدد والمكرمه[1]

وواضح أن الحريري يتحدى بما التزمه من الجناس بين قافية البيت والجزء الأول من الشطر كما لاحظ ذلك الدكتور محمد إبراهيم البنا[2] . إلا أن السهيلي لم يعجزه أن يعارض هذين البيتين بأبيات عشرة ، طالعها قوله :

---

(١) سيق البيتان في المقامة الحلبية (المقامة : ٤٦) . انظر شرح الشريشي ٥/ ٢٣٧، نشرة أبي الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية ، بيروت . وقارن بمعيار الونشريسي ١١/١٥٧- ١٥٨. منشورات وزارة الأوقاف المغربية .

(٢) السهيلي ومذهبه النحوي : ١٢٨.

والمهرَ مهرَ العرس لا تغلـه   فإنـه مهمـا غـلا مهرمـه

وآخرها قوله :

كم كمـه وكم عمـى جره   هوى ذوات الخمر والكمكمه

وقد أبان السهيلي في هذه المعارضة عن دراية كبيرة باللغة ، أهَّلَتْهُ ليباري الحريري في صنعته ، ويجاريه في مضماره .

ولم يكن السهيلي أول ولا آخر من حرص على تذييل بيتي الحريري ، بل نهض لهذا التحدي طائفة من الأدباء الأندلسيين ، وعن ذلك يقول المقَّري : « رأيت في المغرب في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتي الحريري رحمه اللَّه تعالى »[(١)] .

على أن هذه المساجلات لم تَخْلُ من تكلف ، ولم تسلم من قدح ، حتى إن ابن عبد الملك - وهو بصدد الكلام عليها - عقب قائلا : « وقد تعاطى جماعة من الشعراء تذييل بيتي الحريري بما كان سكوتُهم عنه أصْوَنَ لافتضاحهم وأَسْتَر ، وإخلادُهم إلى حضيض العجز عن مساماته في أوج إجادته أولى بهم وأجدَر ، فمِنْ

(١) نفح الطيب ٤/ ٢٨، وقارن بشجرة النور الزكية : ١٧٧.
وممن شغل بمعارضة هذين البيتين من المشارقة : عثمان بن عيسى البلطي النحوي ؛ فقد نهض لهذا التحدي وزاد على بيتي الحريري خمسين بيتا ، ساق منها ياقوت ثلاثة عشر . انظرها في معجم الأدباء ٤/١٦١٦-١٦١٧. تحقيق د . إحسان عباس . ط/دار الغرب الإسلامي .
وأخبرني صديقي الباحث عبد العزيز الساوري أنه بصدد تتبع هذه المساجلات قصد إخراجها في دراسة مستقلة .

مطيل غير مطيب ، ومجيل فكره في استدعاء ما ليس له بمجيب ، ومن مقصر لو أبصر لقصر ، ولو أنصف لما تكلف »[1] .

ولم يكن السهيلي بمنجاة عن هذا النقد اللاذع ، فإن ابن عبد الملك – بعد أن ساق تذييله على بيتي الحريري – عقب بقوله : « وحسبك بما في هذا التذييل من الدعوى غير المستندة على دليل ، والاغترار المودي إلى الفضيحة ، والتشبع بما يحمل على إجهاد الخاطر وكد القريحة[2] .

وبعد فهذا أوان إيراد ما تيسر الوقوف عليه ، وأسعفت به المصادر من شعر السهيلي[*] .

قافية الباء

(١)

قال السهيلي في من ركب البحر – (كامل) :

١- ركبوا السفينَ فقلت بعدهم والعين تذرفُ دَمْعَهَا سكْبا :

(١) الذيل والتكملة ٤/ ٤٩ – ٥٠. تحقيق د. إحسان عباس. دار الثقافة ، بيروت .

(٢) الذيل والتكملة ٤/ ٥١.

* ملحوظة : رتبت القوافي كالآتي : الروي الساكن فالمفتوح ، فالمضموم ، فالمكسور .

٢- لو أنني كنت امرأ مَلِكًا لَأَخَذْتُ كَلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا

التخريج :
أدباء مالقة : ١٣٠، والشطر الأخير مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف : ٧٩] .

ومن شعره في التوسل - (طويل) :

١- صرفت إلى رب الأنام مطالبي ووجهت وجهي نحوه ومآربي

٢- إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه مليكٌ يُرَجَّى سيبُه في المساغِبِ

٣- هو الصمد البَرُّ الذي فاض جودُه وعَمَّ الورى طُرًّا بجَزْلِ المواهبِ

٤- مُجيري من الخطب المُخوفِ وناصري مُغيثي إذا ضاقت عَلَيَّ مذاهبي

٥- مُقيلي إذا زلت بيَ النعلُ عاثرًا وأسْمَحُ غَفّار وأكرمُ واهبِ

٦- فما زال يوليني الجميل تَفَضُّلًا ويدفع عني في صدورِ النوائبِ

٧- ويرزقني طفلا وكهلا وقبلها جنينًا ، ويحميني دنيءَ المكاسبِ

٨- إذا سدَّت الأملاك دونيَ بابَها ونَهْنَهَ عن غشيانهم زجْرُ حاجبِ

٩- فَزعتُ إلى باب المهيمن ضارعًا ذليلا أنادي باسمه غيرَ هائبِ

١٠- فلم أُلْفِ حُجَّابًا ولم أَخش مَنْعَهُ ولو كان سُؤْلي فوق هَامِ الكواكبِ

١١- كريمٌ يلبي عبده كلما دعا نهارًا وليلًا في الدجى والغياهبِ

١٢- يقول له : لبيك عبدي داعيا وَإنْ كنتَ خَطّاءً كثيرَ المعايبِ

١٣- فما ضاق عفوي عن جريمة خاطئٍ ... وما أَحَدٌ يرجو نوالي بخائِبِ

١٤- فلا تخش إقْلالًا وإنْ كنتَ مكثرًا ... فَعرفِيَ مبذول إلى كل طالبِ

١٥- فَسَائِلْهُ مِمَّا شِئْتَ إنَّ يَمينَه ... تَسُحُّ دِفاقًا بالمُنى والرغائبِ

١٦- فحَسبي ربي في الهزائز ملجأ ... وحِرزًا إذا خيفت سهامُ النوائبِ

١٧- وحسبي رسول اللّه في كل أزمة ... ملاذا وأمنًا في اختشاء العواقبِ

١٨- وحسبي رسول اللّه أوثقُ شافعٍ ... وأكرم من مُدَّتْ له كفُّ راغبِ

١٩- عليه كما هبَّ النسيم تحيةً ... تفوح بها الأرجاءُ فَيْحَ السَّباسِبِ

٢٠- وأزكى صلاةٍ ينتهي القَطْرُ دونَها ... ويقصُر عَنْ إحصائها كلُّ حاسبِ

التخريج :

القصيدة في مخطوط ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم ٢٨٩٦. ص : ٢٢٨- ٢٢٩، وهي أيضا في إظهار الكمال في مناقب سبعة رجال للعباس بن إبراهيم . ٣٤١- ٣٤٢ (مخطوط الخزانة الحسنية تحت رقم : ٢٣٢) ، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٧٢- ٧٣، والأبيات (١- ١٦) في أدب الفقهاء : ١٦٠- ١٦١ مع خلاف يسير في بعض الألفاظ .

(٣)

وقال - (طويل) :

١- أرى البرَّ لا ينفك بَرًّا بأهله ... وذا البحرَ لا يألو عقوقًا لراكبِ

٢- وما ذاكَ إلّا أنَّ هذا مناقض ... وهذا يراعي وصلَه في المناسبِ

التخريج :

زاد المسافر لابن صفوان : ١٣٩، وأدباء مالقة : ١٢٩، وفيه : «متناقض» بدل «مناقض» .

(٤)

وله - (كامل) :

١- خلَف السلامُ على الذين أحبّهم وسقَى منازلَهم بكل سَكُوبِ

٢- أبَتِ الفراقَ قلوبُنا وقلوبُهم يا ليتَ أبدانًا لنا كقلوبِ

التخريج :
أدباء مالقة : ١٢٨- ١٢٩، ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي لمجهول : ٢٢٩، تحقيق إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط ١.

(٥)

ومن شعره - (متقارب) :

١- تَواضَعْ إذا كنت تبغي العُلَا وكُنْ راسبًا عند طَفْوِ الغَضَبْ

٢- فَخَفْضُ الفتى نَفْسَهُ رِفْعَةٌ لَهُ واعتبِرْ برسوب الذَّهَب

التخريج :
الإحاطة ٣/ ٨٤، وفيه : «وكنت راسبا» ولا يستقيم به وزن الشطر ولا معناه .

(٦)

ومن شعره رحمه الله - (كامل) :

١- قُل للذين سقوا غداةَ ترحَّلُوا كأسَ النوى صِرْفًا بغيرِ مزاجِ

٢- هَلَّا مزجتم بالسلام فراقَكم فَأَسَوْتُم بالعَذْب منه شجَاجِي[1]

---

(١) الشجاج : آثار الجراح .

٣- أَبَخِلْتُم عني بوقفة ساعةٍ ... أم خفتمُ جَزَعي وطولَ هياجِي

٤- أم خِلتم أني بكم مَتعلقٌ ... لصَبَابَتِي بكُمُ وفَرْطِ لجَاجِ

٥- عُذْرًا إليكم من عتابي إنني ... شاكي الفؤاد حُرِمْتُ بَعْضَ علاجي

٦- حاجاتُ نفسي في الوداع حُرِمْتُها ... فَتَكَحَّلَت مني الجُفون لحاجِ

٧- رَكبَتْ جُفُوني موجَ دمعي إذ رأت ... نُورَيْهِمَا رَكِبا مَطَا الأمواجِ

٨- لا تَحسبوني عنكم متَخلِّفًا ... قلبي مسَايركم على منْهاجِ

٩- أقْمارَ نَجْدٍ كنتمُ بسمائنا ... فالدهر بعدكم ظَلائمُ داجِ[1]

١٠- أنَّى بأنس بعدكم لمحبكم ... ما إن أراهُ ينالُ غَيْر خداجِ[2]

١١- اسْلَمْ أَبَا يحيى فإنك للعُلا ... طَوْدٌ وللأيام ضوء سِرَاجِ

١٢- سُقِّيتُم لطفَ المُنَى معسولةً ... وعُصِمْتُمُ من ورد كُلِّ أُجَاجِ[3]

التخريج :

مسائل في النحو واللغة والحديث والفقه للسهيلي ، تحقيق د . طه محسن . مجلة المورد المجلد ١٨. العدد ٣. ص : ٩٤- ١٤١٠/ ١٩٨٩.

---

(١) داج : مظلم .

(٢) الخداج : النقص . وقد وردت بهذا اللفظ أحاديث ، منها قوله ﷺ : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج غير تمام » . ينظر الموطأ : كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ١/ ٨٤. حديث رقم ٣٩ نشرة محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) الأجاج : الماء الشديد الحرارة ، وكذلك الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر وهو لفظ قرآني ورد في التنزيل في ثلاثة مواضع (الفرقان : ٥٣) ، (فاطر : ١٢) ، (الواقعة : ٧٠) .

قافية الدال

(٧)

ومن شعره في التوسل - (طويل) :

١- إلى خير مأمولٍ قصدتُ بحَاجَتي وَلَوْ غَيْرَه يَمَّمْتُ ما نفَعَ القَصْدُ

٢- وَنَادَيْتُ يَا رَحْمَانُ فَضلُك واسع وعبْدُكَ مُضْطَرٌّ فَلَا يَخِبِ العَبْدُ

٣- وإن كَانَ في بَحْرِ الخَطِيئَةِ مُغْرِقًا فَما ضَاقَ عنه العفوُ منكَ وَلا الرِّفدُ

٤- وإني على ما كان مَنّيَ موقنٌ بأنّكَ رَبٌّ واحدٌ ولَكَ الحمدُ

٥- فما زَلَّةٌ إلَّا وعَفوُكَ فوقَها ولا خَطَأٌ في العَالَمِينَ ولا عَمْدُ

التخريج :

المقطعات الشعرية في الوصايا والمواعظ للمنتوري: ٦٦ ب (ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ١٨٥٣).

(٨)

وقال يمدح الأمير أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي - (بسيط) :

١- العَوْدُ أحْمَدُ من بَدْءٍ حَلَا فَعُد إلى المدائح في قرب وفي بُعُدِ

٢- عُد لامْتِدَاحِ أميرٍ مَا يُكافئُهُ في الفضل بعد أبيه الخَيْرِ منْ أحَدِ

٣- أبي سعيد حليف السَّعْدِ لم تره إلا رأيتَ لديه السَّعْدَ فى صُعُدِ[1]

---

(١) صعد : ازدياد في الصعود والارتفاع.

٤- والدَّهْرُ حينَ رأى أَنوارَ دولته أغْضَى وأدْبَرَ يشكُو عَامدَ الرَّمَدِ[(١)]

٥- سَيْفٌ نَضَتْهُ يدُ الميمون طائِرُه سهَامُهُ الشوك زَجْرَ اللَّيْثِ للنَّقَدِ[(٢)]

٦- تَضَعْضَعَتْ عُصَبُ الإشراكِ نافرةً «ولَا قَرارَ على زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ»[(٣)]

التخريج :

أدباء مالقة : ١٢٨.

ينظر ديوانه : ٢٦ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . ط/دار المعارف مصر . وديوانه . صنعة ابن السكيت : ٢٥ بتحقيق د . شكري فيصل . ط/ دمشق . والشطر مثل عند الميداني . ينظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٢٦. نشرة محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية .

قافية الراء

(٩)

ومن شعره - (كامل) :

١- أَشْبهْنَ مِنْ بَقَرِ الفَلاة صُوارا بـخُـطًا وحُسْـنِ مقـلَّـدٍ ونـفَـارَا[(٤)]

٢- فَلَحِقْنَ بالعجماءِ حُسْنَ تَشَبُّهٍ كيما تكونَ جِراحُهُنَّ جِهَارا

التخريج : أدباء مالقة : ١٢٩.

---

(١) أغضى : أطبق جفنيه على حَدَقته . وعامد الرمد : ممرضه وموجعه .

(٢) النقد : جمع نقدة ، وهي الصغيرة من الغنم .

(٣) الشطر الأخير عجز بيت للنابغة من معلقته وصدره :

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني

(٤) الصوار : (بضم الصاد وكسرها) القطيع من البقر . والمقلد من الخيل : السابق يقلد شيئا ليعرف أنه قد سبق . والنفار : الذهاب والفرار .

(١٠)

وقال يصف المُجَبَّنَة، وهي من أفخر ما يصنع المغاربة من الطعام – (كامل) :

١- شَغَفَ الفؤادَ نواعمٌ أبكارُ بَرَدَتْ فؤادَ الصَّب وَهْيَ حرارُ

٢- أَذْكَى من المسْكِ الفَتيقِ نسيمُها وأَلَذُّ من صَهْبَاءَ حين تُدَارُ

٣- فَكأَنَّما صافِي اللُّجَيْنِ قلوبُها وكأَنَّما ألوانهنَّ نُضار

٤- صَفَتِ الظواهرُ والبواطنُ كُلُّهَا لَكِنْ حَكَتْ ألوانَها الأَزْهَارُ

٥- عجبًا لها وهْيَ النعيمُ تصوغُها نَارٌ، وأين من النَّعيمِ النَّارُ؟!

قافية السين

(١١)

وقال وقد أهدي له مسك – (سريع) :

١- أهْدَى لَنَا شبْهًا بأنفاسه مَنْ عَذَّبَ القلبَ بوَسْوَاسِهِ

٢- يا مرسلَ المسْك لنا نفْحَةً وكُلُّ مسك دون أنْفاسِهِ

٣- كُلُّ نعيمِ دون ذاكَ اللَّمَى وكُلُّ بُوسٍ دُونَ إينَاسِهِ

التخريج :
أدباء مالقة : ١٢٩، ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي : ٢٢٩- ٢٣٠.

قافية العين

(١٢)

ومن شعره في التوسل ، (طويل) :

١- لك الحمدُ ياذا المجد والجود والعلا   تباركت تعطي مَنْ تشَاءُ وتَمْنَعُ
٢- إلهي وخَلَّاقِي وحرزي ومؤئلي   إليك لدى الإعسار واليسر أفزعُ
٣- إلهي لئن جَلَّت وجُمّت خطيتي   فعفوك عن ذنبي أجَلّ وأوسعُ
٤- إلهي لئن أعْطيتُ نفسي سُؤْلَهَا   فها أنا في بحر الندامة أرتعُ
٥- إلهي تَرَى حالي وفقري وفاقتي   وأنت مناجاةَ الحقيقة تَسْمَعُ
٦- إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ   فؤادي فلي في بحر جودكَ مطمعُ
٧- إلهي لئن خَيَّبْتَني وطردتَني   فمَنْ ذا الذي أرجو سواك فيدْفَعُ ؟
٨- إلهي أنِّسْني بتلقين حُجَّتِي   إذا كان لي في القبر مثوى ومضجعُ
٩- إلهي أَذقْني طعم عفوك يوم لا   بنونٌ ولا مالٌ هناكَ فينفعُ
١٠- إلهي لئن لم تَرْعَني كنتُ ضائعًا   وإن كنتَ ترعاني فلست أُضَيَّعُ

١١- إلهي إذا لَمْ تَعْفُ عن غير محسن فمَنْ لمُسيءٍ بالهوى يتمتعُ ؟
١٢- إلهي لئن فرطتُ في طلب التقى فها أنا إثرَ العفو أقفو وأتْبَعُ
١٣- إلهي لئن أخطأتُ جهلًا فطالما رجوتُكَ حتى قيل ما هو يَجْزعُ
١٤- إلهي ذنوبي أبدتِ الطودَ واعتلت فصفحُكَ عن ذنبي أجلّ وأرفَعُ
١٥- إلهي أَقِلْني عَثْرتي وامْحُ حَوْبَتي فإنّي مُقرّ خائفٌ متضرِّعُ
١٦- إلهي أنِلْني منكَ رَوْحًا ورحْمَةً فلستُ سوى أبواب فَضْلِكَ أقرعُ
١٧- إلهي لئن أَفْضحْتَني وأهَنْتَني فما حيلتي يا ربّ أم كيف أصنعُ ؟
١٨- إلهي خِيفُ الحُبِّ في الليل ساهر ينادي ويدعو والمغَفَّلُ يهْجَعُ
١٩- وكلهم يرجو نوالك راجيا لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمعُ
٢٠- إلهي تُمَنِّيني رجاي سلامة وقبحُ خطيَّاتي عليَّ يُشَنِّعُ
٢١- إلهي وإن تعفو فعفوك منقذ وإلا فَبالذَّنْبِ المدمِّر أُصْرَعُ
٢٢- إلهي بحق الهاشمي وآله وحرمةِ إبراهيمَ من لَكَ خُشَّعُ
٢٣- إلهي فأَشْهدْني على دين أحمدٍ نبيًا تقيًا قانتًا لكَ أَخشَعُ
٢٤- فلا تَحْرِمَنِّي يا إلهي وسيِّدي شفاعتَه الكبرى فذاك مشَفَّعُ
٢٥- وصلِّ عليه ما دعاكَ مُوَحِّد وناجاك أخيار ببابك رُكَّعُ
٢٦- إلهي بحق المصطفى وابن عمه وحرمة أَخْيَارٍ وهم لك تُبَّعُ

التخريج :
القصيدة في مخطوط ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم: ١٢٠٩. ص: ٣٢- ٣٣.

(١٣)

ومن شعره أيضا في التوسل - (كامل) :

١- يا من يرى ما في الضَّميرِ ويسمعُ	أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقَّعُ
٢- يا مَنْ يُرَجَّى للشَّدَائدِ كلِّهَا	يا من إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
٣- يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ في قَوْلِ : كُنْ	امْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَكَ أجْمَعُ
٤- مالي سوى فقري إليك وسيلَةٌ	فبالافتقارِ إليك فَقْريَ أدْفَعُ
٥- ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ	فلئن رُدِدْتُ فَأَيَّ بابٍ أقْرَعُ ؟
٦- ومن الذي أدعو وأَهْتِفُ باسمه	إن كان فضلُك عن فقيرك يُمْنَعُ ؟!
٧- حاشا لجودك أن تُقَنِّطَ عاصيًا	الفضلُ أجْزَلُ والمواهبُ أَوْسَعُ
٨- بالذُّلِّ قد وافيت بابك عالمًا	أن التَّذَلُّلَ عند بابك ينفعُ
٩- وجعلتُ معتمدي عليك توكُّلًا	وبسطتُ كَفِّيَ سائلًا أتَضَرَّعُ
١٠- وبحقِّ من أحْبَبْتَهُ وبعثْتَهُ	وأجبْتَ دَعوَةَ من به يُتَشَفَّعُ
١١- اجْعَلْ لنا من كلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجا	والْطُفْ بنا يا من إليه المرجعُ

١٢- ثم الصلاةُ على النَّبي وآله   خيرِ الأنام ومن بِهِ يُتَشَفَّعُ

التخريج :

القصيدة كاملة في مجموع قصائد وأدعية : ٤٣ (ط / المطبعة التعليمية والمكتبة الأدبية ، ١٩٦٠) ، والأبيات (١- ٧) في المطرب : ٢٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣، والديباج المذهب ، ١/ ٤٨٠- ٤٨١ (نشرة د . الأحمدي أبي النور) ، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٢- ٤٢٣، ونكت الهميان : ١٨٨، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٢، ومسالك الأبصار للعمري ٥/ ٣١٤ (نشرة د . فؤاد سزكين) ، والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٨، والمقطعات الشعرية في الوصايا والمواعظ (٦٦ أ . ب . مخطوط) ، ونفح الطيب ٢/ ١٠٢- ١٠٣، وبغية الوعاة ٢/ ٨١، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٦٨ (نشرة محمد علي عمر) ، والإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٤، وفيه وفي الديباج زيادة البيت : ١٢. وإظهار الكمال : ٣٣٤، وسلوة الأنفاس للكتاني ٢/ ٢٢٦ (ط / فاس) ، والاستقصا للناصري ٢/ ٢٠٤، والجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب للشيخ عبد الصمد كنون : ٢١٠- ٢١١ (نشرة د . محمد أبي الأجفان ط / تونس) ، والأبيات (٥، ٦، ٧) بلا عَزو في الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد ، لأبي القاسم عبد الجبار الفجيجي (نشرة د . عبد الهادي التازي ، ط / المغرب) .

وفي قول السهيلي : «أجمَعُ» من نهاية البيت الثالث توجيه نحوي نبه عليه ابن دحية في «المطرب» ، واليافعي في «المرآة» .

قافية الفاء

(١٤)

وقال يقرظ كتابه «الروض الأنف» - (بسيط) :

١- من سَرَّهُ أن يشيمَ الطرفَ من شرف   في روضة جمة الأزهار والطرفِ

٢- فناظر القلب أَولَى أَنْ يُنَزِّهَه   من المعارف وَسْطَ الروضة الأُنُفِ[1]

---

(١) الأنف : (بضم الألف والنون) : التي لم يُرْعَ منها شيء . اللسان (أ ن ف) .

٣- فقد أَلاحَتْ[1] لذي لبٍّ أزاهرُها وقد دعت لجَناها كَفَّ مقتَطِفِ

التخريج :

المطرب : ٢٣٦.

قافية القاف

(١٥)

ومن شعره - (متقارب) :

١- جعلتُ طريقي على بابه وما لي على بابه من طريقْ

٢- وعاديتُ من أجْلِهِ جِيرَتي وآخيت من لم يكن لي صديقْ

٣- فإنْ كَان قَتْلي حَلَالًا لكم فسيروا بروحي مَسِيرَ الرَّفيق

التخريج :

نكت الهميان : ١٨٨، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧١- ١٧٢، والنفح ٣/ ٤٠٠، وإظهار الكمال : ٣٣٧، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٦.

(١٦)

وله - (طويل) :

١- أسائلُ عن جيرَانِهِ من لَقيتُه وأُعرضُ عن ذكراه والحالُ تنطقُ

(١) ألاحت : تلألأت .

٢- وما بي إلى جيرانه من صبابةٍ ولَكنَّ نفسي عن صبوحٍ تُرَقِّقُ

التخريج :

بغية الملتمس للضبي : ٣٦٧ (ط / مصر) ، وفيه : « قلبي » بدل « نفسي » ، والإحاطة ٣/ ٤٧٩- ٤٨٠، وأدباء مالقة : ١٢٩، والنفح ٢/ ١٠٣، وإظهار الكمال : ٣٤٠، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٧١. وقد تَصَحَّفَتْ لفظة « ترقق » في بعض هذه المصادر إلى « يوفق » كما في الإحاطة ، و « يرقرق » كما في أدباء مالقة . وفي قول السهيلي : « عن صبوح ترقق » إشارة إلى مثل عربي ساقه الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٢١، والزبيدي في تاج العروس ٥٢٦/٦ (تحقيق حسين نصار ط/ الكويت) ، والصاحب بن عباد في المحيط في اللغة ٢/ ٣٩، والصبوح : ما يشرب صباحا . وترقيق الكلام : تزيينه وتحسينه .

قافية اللام

(١٧)

وقال يخاطب أبا إسحاق بن قرقول[1] عندما رحل من سبتة إلى سلا - (طويل) :

١- ألا لَا فَسَلَا عمن عَهِدْتُ تَحَفِّيًا[2] وهل نافعي إن قلتُ من لوعة سَلَا

٢- سلا عن سلا إن المعارفَ والنُّهَى بها فَدعَا أُمَّ الربابِ ومَأْسَلا[3]

---

(١) هو الفقيه الإمام المحدث الأصولي النحوي اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحمزي (٥٠٥- ٥٦٩هـ) من بلدة أَلْمَرِيَّة . والظاهر أن صلته بالسهيلي كانت وثيقة ، فقد أفرد هذا جل مسائل كتابه « الأمالي » للجواب عن مباحث عرضها عليه ابن قرقول . انظر مقدمة الأمالي : ١٤ . وَقِف على ترجمته في جذوة الاقتباس لابن القاضي ١/ ٨٨- ٨٩ (ط / المغرب) ، وشجرة النور الزكية : ١٤٦ ترجمة : ٤٣٥.

(٢) التحفي : الكلام واللقاء الحسن .

(٣) قال محققو المطرب : في البيت إشارة إلى قول امرئ القيس :

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

٣- بَكَيْتُ أَسَى أَزْمَانَ كان بِسَبْتَةٍ فكيف التأسي حينَ منزلهُ سَلَا

٤- وقال أناسٌ إنَّ في البعد سَلْوَةً وقد طالَ هذا البعْدُ والقلبُ ما سَلَا

٥- فليت أبا إِسْحَاقَ إِذْ شَطَّتِ النَّوَى[١] تَحِيَّتَهُ الحُسْنَى مع الريح أَرْسَلَا

٦- فَعادَت دَبورُ الريح عندي كالصَّبَا لَدَى عُمَرٍ إذ أَمْرُ زَيْدٍ تبَسَّلا[٢]

٧- فقد كَان يُهْدِيني الحديثَ مُوَصَّلًا فأصبح موصولُ الأحاديثِ مُرْسَلَا

٨- وقد كان يحيا العلمُ إذ كان عندنا أَوَانَ دنَا فالآن بالنَّأْي كَسَّلَا

٩- فَلِلَّه أمٌّ بالمَرِيَّةِ أَنْجَبَتْ به وأبٌ ماذا من الخير أَنْسَلَا[٣]

١٠- وإنِّي إِلَى تلك الموارد عاطشٌ وإن أَلْبَنَ القلبُ المَشوقُ وأَعْسَلَا

١١- أقمت بِشَرْقٍ والأماني بمَغْرِبٍ فأصبحْتُ في كفِّ الصَّبابَةِ مُنسلَا[٤]

١٢- فلَو كُنْتُ من قيد الحوادثِ مُطْلَقًا شددْتُ له كُورًا[٥] وأَنْضَيْتُ عَنسلًا[٦]

---

(١) شطت النوى: بعدت الدار.

(٢) قال ابن دحية: «هذا البيت حكاية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أخيه الشهيد المهاجر زيد بن الخطاب، وكان أَسَنَّ من أخيه وأسلم قبله، وشهد بَدْرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم قُتِلَ يوم اليمامة شهيدًا.

(٣) أنسل: أنجبَ.

(٤) منسلا من قولهم: أنسل الصوف والشعر إذا سقط وتقطع.

(٥) الكور: الرحل.

(٦) العَنْسَل: الناقة القوية السريعة. وأنضاها: هزلها وأذهَبَ لحمَهَا كثرةُ الأسفار.

١٣- وأَرْقَلْتُ[(١)] نحو المجْدِ فالمجد عنده ولم أَكُ في التَّطْلَابِ مِمَّنْ تَرَسَّلَا[(٢)]

التخريج :
القصيدة كاملة في المطرب : ٢٣٥- ٢٣٦، وهي - عدا البيت الأول - في سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ٥٢١.

(١٨)

ومن شعره - (بسيط) :

١- أبْدَى الهوى وتجافى عَنْ زِيَارَتنَا وَظَلَّ يُكثرُ من عُذْرٍ ومن علَلِ

٢- لا تدَّعي حُبَّ من أتلفتَ مهجَتَه بالصَّدِّ منك وبالإعراض والبَخَلِ[(٣)]

٣- تقول لا حيلةٌ في الوَصْلِ أعرفُهَا لَوْ صَحَّ منك الهوى أُرْشِدْتَ لِلْحِيَلِ

التخريج :
أدباء مالقة : ١٢٩، ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي : ٢٣٠، وجاءت « تدعي » وإن كان الخطاب لمذكَّر، والأصل بدون الياء، وقد ورد مثله (بالياء) على إشباع الكسرة .

(١٩)

وقال - (كامل) :

١- قاسوا الحنينَ إلى الحبيبِ الأول بحنينِ مغتربِ لأول مَنْزِلِ[(٤)]

---

(١) أرقلت : أسرعت .
(٢) ترسل : تمهل .
(٣) البخل : (بفتح الباء والخاء) لغة في البخل . اللسان (ب خ ل) .
(٤) انظر مقارنة في المعنى والوزن . قول أبي تمام :

« نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل »

٢- هيهاتَ ما حب التليد كَطَارِفٍ | أيْنَ القديم من الجديد المقبل؟!
٣- نَوْرُ الأَقاحِ الغَضِّ أحْسَنُ منظَرًا | وأَرَقُّ عَـرْفًـا مـن أَقَـاحٍ ذُبَّـلِ
٤- وَليَانِعِ الثمرات حظٌّ[1] في المُنَى | ليست ليابسهن عند المأكل
٥- فَدَعِ القياس على مثال في الهوى | وانظر إلى عطف الرؤوم المطفل[2]
٦- إن قُلْتَ يعدل عندها حُبُّ الطلا | حُبَّ المُرَبَّبِ قبله لم تَعْدلِ[3]
٧- وَلِعِلْمِهِمْ[4] أنَّ الجديدَ مُحَبَّبٌ | قالوا اغترب كَيْما تَجِدَّ أو ارْحَلِ[5]

التخريج :
أدباء مالقة : ١٣٠ ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي : ٢٣٠- ٢٣١.

(١) كذا في أدباء مالقة . وفي المختارات : « اخطر » .
(٢) الرؤوم : الأنثى تعطف على ولدها وتلزمه . والمطفل ، الأنثى يكون لها ولد صغير إنسًا كانت أم وحشا .
(٣) ورد البيت في أدباء مالقة كالآتي :
إن قلت يعدل عنها حب كحب المريب قبله لم تعدل
وهو على هذا مكسور الوزن .
(٤) في المختارات : « ولَعَلَّهم » . ولا معنى له .
(٥) ينظر البيت إلى قول أبي تمام (طويل) :
وطول مقام المرء بالحي مُخْلِقٌ | لديباجتيه فاغترب تتجدَّدِ
فإني رَأيتُ الشمس زيدت مَحَبَّةً | إلى الناس أنْ ليست عليهم بِسَرْمَدِ

قافية الميم

(٢٠)

من شعره – (وافر) :

١– وذي نَفَسٍ أَنَمَّ[١] مِنَ الخُزَامى[٢] وثغْرٍ مثل ما عبقَتْ مُدامُ

٢– شَكَوْتُ لهُ الهوى وبكَيْتُ شَوْقًا فأعْقبَ عَبْرتي منهُ ابتسامُ

٣– فقلت : أَضَاحكٌ منِّي وَهَذِي دُموعي عن لَظَى كَبِدِي سجَامُ

٤– فقال الرَّوْضُ تَضْحَكُ كُلَّ حينٍ أَزاهِرُهُ إذا دَمَعَ الغَمَامُ

التخريج :
أدباء مالقة : ١٢٩.

(٢١)

وقال – (متقارب) :

١– إذا قُلتُ يومًا سلامٌ عليك فَفِيهَا شفاءٌ وفيها سقامُ

٢– حَياةٌ إذا قلتُها مقبلًا وإن قلتها معرضًا فالحمَامُ

---

(١) أنم : صيغة تفضيل من نم الشيء إذا سطعت رائحته. ومن معاني النمام : النبت الطيب الرائحة. اللسان (ن م م).

(٢) الخزامى : نبت طيب الرائحة ، ويقال : ليس في الزهر أطيب منه رائحة.

٣- فَأَعْجَبُ مِنْ ضِدٍّ حَالَيْهِمَا وهَـذَا سَـلَامٌ وهَـذَا سَـلامُ

التخريج :

الأبيات الثلاثة في زاد المسافر : ١٣٩، وإشارة التعيين : ١٨٣، وأدباء مالقة : ١٢٩، والبلغة : ١٢٣، ودرة الحجال ١/١٧٤ (نشرة د. الأحمدي أبي النور). وفيه : «عليكم» بدل «عليك»، وفيه وفي إشارة التعيين والبلغة : «شفاء» بدل «حياة»، وبين هذه المظان اختلاف في رواية الشطر الأول من البيت الأخير، ففي بعضها : «لِحَال» مكان «لضد» و«بحال اختلافيهما» و«لِفرط اختلافهما» كما في الدرة. الأبيات ثلاثتها أيضًا في صلة الصلة لابن الزبير : ق ٣ ص ٩٤. (تحقيق د. الهراس ورفيقه)، والأول والثاني في الديباج ١/ ٤٨٢، والشطر الثاني من البيت الثاني فيه : وإن أنت أدبرت ففيها الحمام، وهي مطابقة لرواية «الدرة»، والبيتان كذلك في طبقات الداودي ١/ ٢٦٩، وإظهار الكمال : ٣٣٥-٣٣٦، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٥، ورواية الثاني في الأخيرين كروايته في الديباج والدرة، وجاء فيهما أن السهيلي أخذ البيتين من قول الآخر - (طويل) :

لقيت ابنة البكري زينب من عفر ونحن من أم موسى(*) عاشرة العُشْرِ

فكلمتها ثنتين كالثلج منهما على القلب والأخرى أحَرُّ من الجمر

(٢٢)

وقال مذيلا بيتي الحريري(١) - (سريع) :

---

* كذا، ولا يستقيم به وزن الشطر ولا معناه؛ بسبب ما اعترى هذه العبارة من تصحيف. وصواب الشطر كما في البيان والتبيين ١/ ٢٨٠، وأمالي القالي ١/ ٩٨، ودرة الغواص ١٥٩، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط/ دار نهضة مصر، والمدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي ٢/٢٢١ (نشرة خوسية بيريث لاثارو ط/ مدريد، والمستقصى ١/٦٣

* ونحن حرام مُسْ عاشرةِ العشرِ *

ونسب البيتان لعبد الله بن خليد، وعزاهما الزمخشري لابن ميادة.

(١) تقدم ذكر البيتين والكلام على تذييلاتهما في صفحة ١٨.

١- والمَهرَ مَهْرَ العُرْس لا تُغْلِهِ   فإنَّهُ مَهْمَا غَلَا مَهْرَمَهْ[١]

٢- مَنْ دَمَهُ صَانَ لحرْزِ[٢] التُّقَى   لَمْ يَخْشَ مِنْ لَوْمٍ ولا مَنْدَمَهْ

٣- مَنْ عَمَهُ[٣] القَلْبُ لَهُ شيمَةٌ   لَمْ يَدْرِ مَا بُؤْسى[٤] ولا مَنْعَمَهْ

٤- أُبْ[٥] لُمةً[٦] إلى الرِّضا واقْتَسِمْ   مَالي مَعِي إنْ شِئْتَ كالأُبْلُمَهْ[٧]

٥- مَا الأَمَةُ المَخْسُوسُ مقْدَارُهَا[٨]   تَرْضى بمَا في الهَجْرِ مِنْ مَلأَمَهْ[٩]

٦- مَا الكَمةُ[١٠] المجْتَثُّ أعْرَاقُهَا   إلَّا كَأَصْلِ المُرْتَضِي مَلْكَمَهْ[١١]

٧- مَا الحَمَةُ[١٢] السَّوْداءُ إلَّا الوَرَى   فَلِمْ تَرَى بينهُمْ مَلْحَمَهْ[١٣]

---

(١) المهرمة : الهرم .

(٢) في الذيل والتكملة : « بحرز » .

(٣) العمه : الحيرة والتردد .

(٤) البؤسى : خلاف النعمى ، وفي التذييل والتكملة : « بؤس » وهي قراءة جيدة .

(٥) أُبْ : ارجع .

(٦) اللمة : المثل يكون في الرجال والنساء . ولمة الرجل : من على قدر سنه .

(٧) الأبلمة : ورقة النخل وما شاكله ، وتعرف كذلك بالخوصة . وفيها لغات ويضرب بها المثل في التساوي ، فيقال : المال بيننا ، والأمر بيننا شق الأبلمة . وذلك لأنها تؤخذ فتشق على السواء . اللسان (ب ل م) ، وغريب الحديث للخطابي ٢/ ٣١ .

(٨) المقدار المخسوس : التافه الرذل .

(٩) الملأمة : ضد المكرمة .

(١٠) الكمة : أصلها الكمأة ، سهلت همزتها ، فنقلت حركتها إلى ما قبلها .

(١١) الملكمة : مفعلة من الضرب ، والمعنى - كما يقول ابن دحية - لا يرتضيها إلا من لا أصل له ، كالكمأة .

(١٢) الحمة : أصلها : الحمأة : الطين الأسود المنتن .

(١٣) الملحمة : الحرب ذات القتل الشديد .

٨- فَالهَيْنَ[١] مهْلًا لا تَلُمْ هَيِّنًا   في خَلْقه واحذر من الهَيْنَمَهْ[٢]

٩- والهَذْرَمَهْ دَعْهُ وكُنْ نَاطِقًا   بالقَصْدِ إنَّ العاب[٣] في الهَذْرَمَهْ[٤]

١٠- كَمْ كَمَهٍ[٥] وكَمْ عَمًى جَرَّهُ   حُبُّ ذواتِ الخُمْرِ[٦] والكَمْكَمَهْ[٧]

التخريج :

التذييل برمَّتِهِ في الذيل والتكملة ٤/ ٥٠- ٥١، وهو - عدا البيت الخامس - في المطرب ٢٣٨- ٢٣٩. والبيتان الأول والثاني في ألف باء البلوي ٢/ ٥٨٧. وقد وقعت نسبة الأبيات في « الذيل » لأبي زيد التميلي (بالتاء والميم) - وقع هذا في المتن وفهرس الأشعار، وهو تصحيف لم يتفطن له الدكتور إحسان عباس.

(٢٣)

ومن شعره في المدح - (بسيط) :

١- الدِّينُ يشرق والأيام تبتسمُ   والدهر معتذرٌ والخطبُ محتشمُ

٢- ودولة الحق والتوحيد قد وضحت   لها بشائر زاحت عندها الغممُ

ومنها في المدح :

٣- السعد يقدمها والنصر يخدمها   ما حان مَقْدَمُه إلَّا هَمَتْ نِعَمُ

---

(١) الهين : السهل. والأصل في اللفظ تشديد يائه فخففت.

(٢) الهينمة : الكلام الخفي. وشرحها السهيلي في الروض ٢/١٠٠ بالكلام لا يفهم.

(٣) العاب : العيب.

(٤) الهذرمة : السرعة في الكلام والتخليط فيه.

(٥) الكمه : العمى الذي يولد به الإنسان.

(٦) ذوات الخمر : النساء.

(٧) الكمكمة : لباس الحرائر.

ومنها :

٤- ولا تيَمَّمُ أرْضًا[١] حُسمت[٢] وعزت[٣] إلَّا هَمَى فوقها من سَيْفِهِ نقَمُ

٥- سَيْفٌ نَضَاهُ أميرُ المومنينَ مَتَى يُرْمَ العدَا بحُسَامٍ مثلهِ هُضِموا

٦- وكوكب في سَمَاءِ المَجْدِ أَطْلعَهُ يَنْجابُ[٤] عن أفقها من نوره الظُّلَمُ

٧- وهْوَ الغَمَامُ الَّذِي يَغْشَى البِلادَ ولَمْ تَرْحَلْ إلَيْهِ فَتُحْيِي تُرْبَهَا الدِّيَمُ

ومنها :

٨- يُدْنِيه من كُلِّ ذِي أرْضٍ تواضعُهُ وفوق هَامةِ كيوان[٥] له قَدَمُ

٩- لَوْ كَانَ مُنْقَسِمًا بَيْنَ الرَّعِيَّةِ أضْحَى وُهْوُ مُنْقَسِمُ

ومنها :

١٠- هَذا ابْنُهُ وهْوَ بَعْضٌ منْهُ خَصَّ بِهِ هَذِي الجزيرَةَ كيْ تُحْمَى به الحُرَمُ

١١- مَا إنْ رَأَوا قَبْلَهُ من كَعْبَةٍ قُصِدَتْ جلاَلَهَا ولَهُم من ظلِّها حَرَمُ

١٢- كَأَنَّ سَيْبَ[٦] نَدَاهُ مَاءُ زمْزَمِهَا وكَفُّهُ الرُّكْنُ إذْ يُغْشَى ويُسْتَلَمُ

---

(١) فى المخطوط : «أرض».

(٢،٣) كذا ورد اللفظان في المخطوط. ولعلهما : حُسِمَتْ وعَدَتْ، أي قُطِعت من البلاد، واعتدى أهلها.

(٤) ينجاب : ينشق.

(٥) الهامة : الرأس، وكيوان : زحل، يضرب به المثل في البعد والارتفاع.

(٦) السيب : العطاء.

١٣- لَوْ كَانَ يَنْفَعُ ذَا وُدٍّ مُسَاهَمَةٌ ظَلَّتْ عليه بِقَاعُ الأَرْضِ تَسْتَهِمُ[(١)]

التخريج :

أدباء مالقة : ١٢٨.

ومن شعره يرثي بلده، وكان الفرنج قد خربته وقتلت رجاله، وكان غائبا عنه - (كامل) :

١- يَا دارُ أَيْنَ البيضُ والآرامُ[(٢)] أَمْ أَيْـنَ جيـرانٌ عَـلَيَّ كِـرامُ؟!

٢- رَابَ المُحِبَّ من المنازل أَنَّهُ حَيَّا فلـم يَرْجِـعْ إِلَيْـهِ سَـلامُ

٣- أَخَرِسْنَ أَم بَعُدَ المدى فَنَسِينَهُ أَمْ غالَ[(٣)] مَنْ كانَ المجيبُ حِمامُ

٤- دَمْعِـي شَـهِيـدي أَنَّـنِـي إِنَّ السُّلُوَّ على المُحِبِّ حَرامُ

٥- لَمَّا أجابَني الصدى عنهم ولم يَلِجِ المسامعَ للحبيب كَلامُ

٦- طَارَحْتُ وُرْقَ حَمَامِهَا مترنِّمًا بِمقَالِ صَب والدموعُ سِجَامُ

٧- « يَادارُ مَا فَعَلَتْ[(٤)] بكِ الأَيَّامُ ضَامَتْكِ والأَيَّامُ لَيسَ تُضَامُ[(٥)] »

التخريج :

المقطوعة كاملة في نكت الهميان : ١٨٨، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧١، والأبيات (١، ٢، ٥، ٦، ٧) في المغرب لابن سعيد الأندلسي ١/ ٤٤٨، والنفح ٣/ ٤٠٠، وإظهار الكمال : ٣٣٧، والإعلام بمن

---

(١) تستهم : تقترع . قال الزمخشري في الأساس (س هـ م) : استهموا وتساهموا : اقترعوا ، وساهمته فَسهَمْتُه : قارعته فقرعته ، وتساهموا الشيء : تقاسموه .

(٢) الآرام : ج رئم ، وهي الظبية الخالصة البياض .

(٣) غاله الشيء : أهلكه وأخذه من حيث لم يدر .

(٤) في نكت الهميات : « صنعت » .

(٥) ضامتك : ظلمتك .

حل بمراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٧، والبيت الأخير لأبي نواس في مدح الأمين، وهو طالع قصيدة من عشرين بيتا آخرها قوله :

فسلمت للأمر الذي ترجى له　　　وتقاعست عن يومك الأيام

ينظر ديوانه : ٤٠٧- ٤٠٩، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي . ط/ دار الكتاب العربي . بيروت .

(٢٥)

ومن شعره أيضا لما قال : كيف أمسيت ... « وكيف أصبحت » - (طويل) :

١- لئن قُلْتُ صبحًا كيف أمسيتَ مخطئًا　　　فما أنا في ذاك الخَطَا بملُومِ

٢- طلعتَ وأفقي مظلم لفراقكم　　　فخلتكَ بدرًا والمساءُ همومي

التخريج :

أدباء مالقة : ١٢٨، والنفح ٣/ ٤٠١، وإظهار الكمال ٢٣٨، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٦٧.

قافية النون

(٢٦)

وقال في قطعة لزومية - (طويل) :

١- ولما رأيت الدَّهْرَ تسطو خطوبه　　　بكل جليد[1] في الورى وهِدانِ[2]

(١) الجليد : القوي .

(٢) الهدان : الضعيف .

٢- ولم أر من حرز ألوذ بظله ... ولا من له بالحادثات يدان

٣- فَزِعْتُ إلى من تَمْلِكُ الدهْرَ كَفُّهُ ... ومن ليس ذو مُلْكٍ له بمُدَانِ[1]

٤- وأعرضت عن ذكر الورى متبرما ... إلى الرب من قاصٍ هناك ودان

٥- وناديته سرا ليرحم عبرتي ... وقلت رجائي قادني وهداني

٦- ولم أَدْعُهُ حتى تطاول مُفْضلًا ... علي بإلهام الدعا وهداني[2]

٧- وقلت أُرَجِّي عطفَهُ متمثِّلًا ... ببيت لعبد صايل[3] بَرَدانِ[4]

٨- « تغطيت من دهري بظِلِّ جَنَاحِهِ ... فَعَيْني ترى دهري وليس يراني »

التخريج :

الإحاطة ٣/ ٤٨٠، والبيتان : (٣، ٨) في لمح السحر لابن ليون التجيبي : ٢١٦. تحقيق سعيد الأحرش (رسالة ماجستير مرقونة بكلية الآداب بفاس) وتوسطهما ثالث هو:

فلو تسأل الأيام عني ما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني

---

(١) في الإحاطة : « بمران »، وهو تصحيف ظاهر.

(٢) في الإحاطة : « وعان »، ولا يظهر له معنى، فضلًا عن أنه لا لزومية فيه. وقد أشار الأستاذ عنان إلى أن ما اعتمده هو ما ورد في نسخة الزيتونة، ونبَّه على أنه جاء في نسخة الإسكوريال : « وهدان » وهي القراءة التي اعتمدتها حفاظا على لزومية القصيدة، وإن كان ينشأ عنها إيطاء.

(٣) لم أهتد إلى معناه فيما راجعت من معاجم اللغة، وأحسب أن فيه تحريفا.

(٤) تعقب ابن الخطيب إيراد السهيلي لفظة « بَرَدَان » بقوله : « وما ضره - غفر اللّٰه له - لو سلمت أبياته من « بردان »، ولكن أبت صناعة النحو إلا أن تخرج أعناقها ».

قلت : ولعله يريد أن إقحام السهيلي هذه اللفظة على زنة « فعلان » في البيت ثقيل شاذ في اللغة، يؤكد ذلك ما ذكره ابن السّكّيت من أن « ما كان من النعوت على « فعلان » فأنثاه « فعلى »، وهذا هو الأكثر، نحو غضبان وغضبى، وعجلان وعجلى، وسكران وسكرى. إصلاح المنطق : ٣٨. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. ط/ دار المعارف مصر ط ١٩٥٦/٢.

وساق ابن منظور هذا البيت والأخير من القطعة اللزومية في مختصر تاريخ ابن عساكر ٧/ ٨٠، وهما أيضا في البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٨، وفيهما أن ابن الأعرابي قال: «أشعر الناس أبو نواس»، وأنشد البيتين. والبيتان لأبي نواس في العمدة لابن رشيق ٢/٧٩٢ (تحقيق د. قرقزان. ط/ دار المعرفة بيروت. ط، ١/ ١٩٨٨)، والسحر والشعر لابن الخطيب: ١٥، نشرة كونتي نانتيه فيرير. (مدريد: ١٩٨١).. وهما في ديوانه: ٤٦٩ من قصيدة عدة أبياتها تسعة عشرة، طالعها قوله:

لمن طلل لم أشجه وشجاني   وهاج الهوى أوهاجَه لأوان

والبيت الأخير كذلك من شواهد الثعالبي في يتيمة الدهر ٣/٨٤ نشرة محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، ط ١، والحاتمي في حلية المحاضرة ١/ ٣٤٢. نشرة د. جعفر الكتاني. ط/ دار الرشيد، والعباسي في معاهد التنصيص ٤/ ٥٣، واليوسي في محاضراته ١/ ٣١١، و٢/٤١٦ نشرة د. محمد حجي ورفيقه. ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٢٧)

وقال - (كامل):

١- لما أجاب بـ «لا» طَمِعْتُ بِوَصْلِهِ   إذ حرف «لا» حرفان معتنقان

٢- وكذا «نعم» بنعيم وصل آذنت   فـ«نعم» و«لا» في اللفظ متفقان

التخريج:

زاد المسافر: ١٤٠، وأدباء مالقة: ١٣٠، والنفح ٢/ ١٣٠، وإظهار الكمال: ٣٤١، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨/ ٧١، وجاء في أكثر هذه المصادر أن السهيلي أخذ البيتين من قول الآخر:

قد أجمع الناس على بغض «لا»   ولست أنسى أبدا حب «لا»

لأنني قلت له سيدي   تحِبّ غيري أبدا؟ قال «لا»

أقول: وقد انفرد ابن خميس بإيراد هذين البيتين ضمن شعر السهيلي ونسبهما له. أدباء مالقة: ١٢٩.

قافية الهاء

(٢٨)

وقال ملغزا في محمل كتب - (خفيف) :

١- حامل للعلوم غير فقيه   ليس يرجو برا ولا يتقيه

٢- يحمل العلم فاتحا قدميه   فإذا انضمتا فلا علم فيه

التخريج :

زاد المسافر: ١٣٩، أدباء مالقة: ١٢٩، والإحاطة ٣/ ٤٨٠- ٤٨١. وفيها: « التقتا » بدل « انضمتا » .
والبيتان بلا عزو في لمح السحر: ٩٦.

* * *

المصادر والمراجع

١- المخطوطة :

١- أدباء مالقة ، لابن عسكر وابن خميس ، مصورتي عن نسخة الشيخ محمد المنوني .
٢ - الارتجال في مناقب سبعة رجال ، لمحمد الأمين الصحراوي . مخطوطة الخزانة الحسنية ، تحت رقم ١٩٤.
٣ - إظهار الكمال في مناقب سبعة رجال ، للعباس بن إبراهيم . مخطوطة الخزانة الحسنية ، تحت رقم ٢٣٢.
٤ - طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضي شهبة . مصورة الأخ د / حاتم صالح الضامن ، عن نسخة المكتبة الأسدية بدمشق .
٥ - المقطعات الشعرية في القضايا والمواعظ ، للمنتوري ، مصورة الأخ عبد العزيز الساوري عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم ١٨٥٣ ضمن مجموع .

٢ – المطبوعة :

١ – الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، للأستاذ عبد الله عنان . لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر . ط ٢/ ١٩٦٢.
٢ – الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب ج ٣، تحقيق عبد الله عنان . ط/الخانجي ، مصر ط ٣.
٣ – أدب الفقهاء ، للأستاذ عبد الله كنون . دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤ – أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة بيروت ١٩٧٩.
٥ – الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، للناصري . ج ٢. تحقيق ولدي المؤلف . دار الكتاب ـ الدار البيضاء ١٩٥٤.
٦ – إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لابن عبد المجيد اليماني . تحقيق د . عبد المجيد دياب . مطبوعات مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٩٨٦.
٧ – إصلاح المنطق ، لابن السكيت : تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون . دار المعارف ـ مصر ، ط ٢/ ١٩٥٦.
٨ – الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، للعباس بن إبراهيم ج ٨. تحقيق عبد الوهاب منصور ، المطبعة الملكية ـ الرباط ١٩٧٧.
٩ – ألف باء البلوي ؛ ج ٢، عالم الكتب ـ بيروت . ط٢/ ١٩٨٥.
١٠ – أمالي السهيلي . تحقيق د . محمد إبراهيم البنا . مطبعة السعادة ـ مصر ١٩٧٠.
١١ – أمالي القالي : ج ١/دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
١٢ – الأنيس المطرب بروض القرطاس ، لابن أبي زرع . درا المنصور ـ الرباط .

١٣ – البداية والنهاية، لابن كثير. ج ١٢، دار الفكر، بيروت.
١٤ – بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، لابن عميرة الضبي. دار الكتاب العربي ـ مصر ١٩٦٧.
١٥ – بغية الوعاة في طبقات النحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر ـ بيروت.
١٦ – البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي. تحقيق محمد المصري. دمشق ١٩٧٢.
١٧ – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (قسم الموحدين) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين. دار الغرب الإسلامي بيروت / دار الثقافة ـ المغرب. ط ١.
١٨ – البيان والتبيين للجاحظ ج ١/تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت ط ٤.
١٩– تاج العروس للزبيدي ج ٥، تحقيق مصطفى حجازي، و ج ٦ تحقيق حسين نصار ط/الكويت.
٢٠ – تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ج ٤، تصحيح عبد الرحمن المعلمي اليماني. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
٢١ – التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار. تحقيق د. عبد السلام الهراس. دار المعرفة ـ المغرب.
٢٢ – جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي ج ١. دار المنصور ـ الرباط. ١٩٧٣.
٢٣ – الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، للشيخ عبد الصمد كنون بعناية د.، محمد أبي الأجفان. تونس. ط ٢.
٢٤ – الدراسات اللغوية في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، رضا عبد الجليل الطيار. دار الرشيد. بغداد ط ١.
٢٥ – درة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي، ج ٣ تحقيق د. محمد الأحمدي أبي النور. دار التراث ـ مصر ط ١.
٢٦ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، ج ١، تحقيق د. محمد الأحمدي أبي النور، دار التراث، ط ١.
٢٧ – ديوان أبي نواس. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي. بيروت.
٢٨ – ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. وديوانه (صنعة ابن السكيت)، تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر – دمشق.
٢٩ – ديوان الرصافي البلنسي. تحقيق د. إحسان عباس. دار الشروق – بيروت، ط ١. ١٩٦٠.
٣٠ – الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي. ج ٤، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت. ب. ت.
٣١ – الروض الأنف، للسهيلي: بعناية طه عبد الرؤوف سَعْد. دار المعرفة. بيروت. ط ٢.
٣٢ – الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري. تحقيق د. إحسان عباس. ط/مكتبة لبنان – بيروت. ط ٢.
٣٣ – زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لابن صفوان التُّجيبي. تحقيق عبد القادر محداد دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣٤ - السحر والشعر، للخطيب، تحقيق كونتينا نتيه فيرير. مدريد ١٩٨١.
٣٥ - سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني. ج ٢، ط/ فاس ١٣١٦ هـ.
٣٦ - السهيلي ومذهبه النحوي، للدكتور محمد إبراهيم البنا. دار البيان العربي. ط ١/ ١٩٨٥.
٣٧ - سير أعلام النبلاء ج ٢. تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ط ١/ ١٩٨٥.
٣٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ج ٤، دار الآفاق الجديدة - بيروت. ب. ت.
٣٩ - شجرة النور الزكية، لابن مخلوف. دار الكتاب العربي - بيروت.
٤٠ - شرح مقامات الحريري للشُّريشي ج ٥. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية - بيروت.
٤١ - صحيح مسلم ج ٤. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت. ب. ت.
٤٢ - صلة الصلة لابن الزبير. القسم الثالث تحقيق د. عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب. منشورات وزارة الأوقاف. المغرب.
٤٣ - طبقات المفسرين للداودي ج ١. تحقيق علي محمد عمر. القاهرة ١٩٧٢.
٤٤ - العمدة في صناعة الشعر، لابن رشيق. تحقيق د. محمد قرقزان. دار المعرفة - بيروت. ط ١/ ١٩٨٨.
٤٥ - الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد، لعبد الجبار الفجيجي، بعناية د. عبد الهادي التازي. ط / المغرب.
٤٦ - فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي. تحقيق د. محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي ط ٢.
٤٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. دار العلوم الحديثة. بيروت.
٤٨ - لسان العرب لابن منظور (الأجزاء: ٩، ١٠، ١٢) دار صادر، بيروت.
٤٩ - لمح السحر، لابن ليون التجيبي. تحقيق سعيد الأحرش (رسالة ماجستير) مرقونة بكلية الآداب بفاس.
٥٠ - مجمع الأمثال للميداني ج ٢، نشرة محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية. تصوير دار المعرفة - بيروت.
٥١ - مجموع قصائد وأدعية (في الأدب واللغة). المطبعة التعليمية والمكتبة الأدبية ١٩٦٠.
٥٢ - المحاضرات في الآدب واللغة، لأبي الحسن اليوسي. تحقيق د. محمد حجي ورفيقه. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٥٣ - محاضرات الأبرار ومسامرات الأخبار، لابن عربي الحاتمي الصوفي، ج ١، دار صادر - بيروت.
٥٤ - مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لمجهول. تحقيق د. إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي. ط ١/ ١٩٨٦.

٥٥ - مختصر تاريخ ابن عساكر، لابن منظور. ج ٧. تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر. دار الفكر - دمشق. ط ١/ ١٩٨٥.
٥٦ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي. ج ٣. ط/دائرة المعارف النظامية، حيدراباد الدكن. ط ١.
٥٧ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري. السفر الخامس، إصدار د. فؤاد سزكين: منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٩٨٨.
٥٨ - المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري. ج ٢، دار الكتب العلمية، ط ٢/ ١٩٧٧.
٥٩ - مسند الإمام أحمد، ج ٢ و ٣. ط/المكتب الإسلامي. بيروت ط ٢.
٦٠ - المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية الكلبي. تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين، دار العلم للجميع - بيروت.
٦١ - معاهد التنصيص، للعباسي. تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط/عالم الكتب - بيروت. ط ٣.
٦٢ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي. تحقيق محمد سعيد العريان ورفيقه. دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٧٨.
٦٣ - معجم الأدباء، لياقوت الحموي. ج ٤. تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت. ط ١.
٦٤ - معجم البلدان، لياقوت الحموي. ج ٣، دار صادر - بيروت.
٦٥ - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب. تحقيق د. محمد كمال شبانة منشورات وزارة الأوقاف - المغرب.
٦٦ - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، ج ١١، منشورات وزارة الأوقاف - المغرب.
٦٧ - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، ج ١. تحقيق د. شوقي ضيف. دار المعارف - مصر.
٦٨ - المن بالأمانة، لابن صاحب الصلاة. تحقيق د. عبد الهادي التازي. دار الغرب الإسلامي. ط ٣/ ١٩٨٦.
٦٩ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني. تحقيق د. محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط ٣/ ١٩٨٦.
٧٠ - موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس. دار القلم - بيروت ط ٤/ ١٩٧٢.
٧١ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٢ - نتائج الفكر، للسهيلي. تحقيق د. محمد إبراهيم البنا. دار الاعتصام ط ٢.
٧٣ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري (الأجزاء ٢، ٣، ٤) تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر - بيروت.

٧٤ - نكت الهميان في نكت العميان للصفدي، تحقيق أحمد زكي. المطبعة الجمالية - مصر. ١٩١١.
٧٥ - الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٨، باعتناء د. أيمن فؤاد السيد. جمعية المستشرقين الألمانية / دار النشر / فرانزشتاينر بفيسبادن.
٧٦ - وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج ٣، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت.
٧٧ - يتيمة الدهر، للثعالبي، ج ٣، تحقيق محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة - مصر ط ١.

المجلات:

١ - دراسات سيميائية، دراسة لسانية (فصلية)،- العدد ٢ شتاء ٨٧، ربيع ٨٨، والعدد ٣ صيف، وخريف ٨٨.
٢ - المرآة، مجلة ثقافية جامعة تصدر عن الاتحاد الثقافي بفرنسا. العدد ١. السنة ٢، أيلول ١٩٨٧.
٣ - المورد العراقية، المجلد ١٨، العدد ٣/١٤١٠هـ - ١٩٨٩.

* * *